

الإمام شيخ الإسلام

مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

إمام دار الهجرة

مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ



أحمد بن محمد بونوة





مسجد النور
حي سليمان عميرات
بالجلفة
الجزائر

ينتظر رجلا كعثمان رضي الله
عنه ليكمل بناءه

الإمام شيخ الإسلام

مالك بن أنس

إمام دار الهجرة

الشيخ الأستاذ

أحمد بن محمد بونوة

نسخة مزيدة ومنقحة مصححة

النسخة الأولى نشرت بموقع الألوكة





مسجد النور حي سليمان عميرات بالجلفة الجزائر

الإمام شيخ الإسلام

مالك بن أنس

إمام دار الهجرة

الشيخ الأستاذ أحمد بن محمد بونوة

نسخة مزيدة ومنقحة مصححة 23/02/1438. 2017/03/21

النسخة الأولى نشرت بموقع الالوكة تاريخ الإضافة: 2017/1/28 ميلادي - 1438/4/29 هجري

بِسْمِ
اللَّهِ
الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

الإهداء

- إلى أولياء الله تعالى محبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- إلى مالك بن أنس ليعلم محبوه أنه علم الدنيا والدين .
- إلى كل معلم مخلص واع في كل مراحل ووضعيات التعليم والتربية والدعوة
- إلى كل سلفي حقيقي يحب أئمة السلف جميعا مع أنه قد يقلد أحدهم ويقدر ويجل الآخرين أئمة أهل السنة والجماعة.
- إلى روح والدي الشهيد بإذن الله في حربه ضد فرنسا الكافرة الظالمة .
- إلى كل محب .



بعض نشاط الشيخ الاستاذ أحمد - بن محمد - بنونوة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحابه أجمعين .
بعدها دعيت من جماعة وجمعية مسجد النور بالجلفة للتدريس مشكورين . أحببت أن أدرس الفقه لحاجة الناس إليه
والفقه المالكي بالذات لأنه هو الفقه السائد من أول الأمر . وظهر لي أن أبدأ بشرح الموطأ أصل كتب الفقه المالكي
وفقه أهل السنة والجماعة . والمذهب المالكي من المذاهب السنية المشهورة بل هو أساسها وأصلها ومنبعها
والمنتشر في بلاد المغرب العربي وجنوب مصر والسودان ومعظم البلاد الأفريقية ، وأجزاء من ساحل الخليج العربي
، وبعض الأسر في مكة والمدينة .

ومالك لممالك الفضائل مالك ، ولمسالك التقوى والورع سالك . إمام دار الهجرة بالإتفاق . ومفتي الحجاز بالاطباق .
فقيه الأمة وسيد الأئمة ، زكي الطبع والهمة . أول من صنف كتابا في الاسلام جمع فيه شرائع الحلال والحرام . ونظم
عقود الشرع فيه أحسن نظام ، بيّن فيه عيون الدلائل ، ومن الأحكام بيّن فنون المسائل ، فغدا كتابه غرة في جبين
الدين ، ودرة في تاج الفضل واليقين ، وسار في البدو والحضر مسير الشمس والقمر . وصار حجة على الأنام ،
وقدوة يأتى بها أولوا النهى والأحلام ، . فمالك جم المناقب والفضائل ، يم المواهب والفواضل . اتسع في الفضل
مجاله وفاض في الأفضال سجاله ، واتسق في التقوى قوله وفعاله ، وأصبح قريع وسيد عصره وفريد دهره
ومصره . علما سار بذكره الركبان وتعطر بنشره الزمان . جمع بين فصاحة البيان وسماحة البنان . نظم من جواهر
الكلام عقدا يزان بمثله نحر الاسلام ، وصاغ من تير الشريعة تاجا ، وفتح للسنة البيضاء رتاجا ، وقسم ميراث النبوة
بين الأمة الهادية وبرد بماء الحياة عليل الأنفس الصادية . خص بالمناقب الشريفة المبينة والمراتب المنيفة المتينة،
وشرف بقول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم . : (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في
طلب العلم ، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة) .

قال فيه عبد الله بن المبارك إمام خراسان رحمه الله تعالى :

والسائلون نواكس الأذقان

يأبى الجواب فما يكلم هيبية

فهو المطاع وليس ذا سلطان

أدب الوقار وعز سلطان التقى

ولحاجة الناس لمعرفة الامام مالك الذي نسيه وتناساه كثير من الناس لأسباب كثيرة ليس هذا موضع طرحها أردت
أن أترجم لهذا العلم الأشم والمرجع الفذ رضي الله عنه وأرضاه . وقد صنف في ترجمة الامام مالك الكثير منهم من
صنف عنه محدثا ومنهم من ترجم له فقيها ومنهم من كتب عن حياته ومن هؤلاء القاضي عياض . وابن فرحون
والشيخ الزواوي والشيخ السيوطي وفي العصر الحديث الشيخ ابو زهرة كتب في ترجمته عن قليل من حياته وكثير
من فقهه .

وأنا في هذه النسخة الثانية المزينة والمنقحة - وقد أرسلت النسخة الاولى إلى شبكة الألوكة ونشرتها الشبكة تاريخ
الإضافة: 2017/1/28 ميلادي - 1438/4/29 هجري وأنا شاكر لهاته الشبكة ولمؤطريها فهي تقوم بجهود جبارة
في نشر العلم الاساس الصحيح . - أترجم بنقول كثيرة تصرفت فيها قليلا لشيخنا شيخ الاسلام وإمام المسلمين
وإمام دار الهجرة مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام . الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى . عسى أن نكون من
أشباهه

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

الجزائر الجلفة

أحمد بونوة hah6194@gmail.com

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو أنس بن الحارث - الأصبحي ، الأصبحي - بن حنبل او حسين او جثيل او جثليل وعند السيوطي خثيل بن غيمان او عثمان ... الأصبحي. الحميري اليعربي القحطاني .

كانا ولداه يدللانه فيناديانه بمويلك

وكان أبو عامر - أبو جَدِّ مالك - حليف عثمان بن عبيد الله التيمي القرشي، وكنيته أبو عبد الله من سادات أتباع التابعين، وجة الفقهاء والصالحين . روى جده مالك بن ابي عامر وهو من كبار التابعين عن عمر رضي الله عنه وعن عثمان رضي الله عنه وعن عائشة رضي الله عنها وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وشارك في كتابة المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه.. وكان أنس والد مالك نبالا يصنع النبال وكان من أهل العلم وكذلك أعمامه أويس ونافع والربيع كانوا من أهل العلم . وُلِدَ الإمام مالك بالمدينة المنورة سنة 93هـ 703م رواه ابن ابي بكير(هو يحيى بن ابي بكير) عن مالك نفسه ورواه ابن ابي داود والسمعاني والقاضي عياض وابن فرحون ، في خلافة سليمان بن عبد الملك ، العام الذي مات فيه خادم رسول الله أنس بن مالك . ، وقيل 90 عن ابن سيرين وغيره . وقيل ولد في 01 ربيع 01 سنة 94 اليافعي في الطبقات ومحمد بن عبد الحكم . و95 هـ عند ابي اسحاق الشيرازي وقيل 96 وقيل 97 هـ . وكان مولده على الأشهر في خلافة الوليد بن عبد الملك . في مكان يسمى " ذو المروة" وهو موضع قرب المدينة به عيون ومزارع وبساتين .

وإخوته : النضر أخوه الأكبر في عمر ابن شهاب كما ذكر مالك وكان يقول الامام مالك كان لي أخ في عمر بن شهاب فألقى أبوهما إليهما مسألة فأجاب أخوه وعجز مالك فقال أبوه لقد ألتهك الحمام عن طلب العلم . فغضب مالك وقصد عبد الرحمن بن هرمز ولزمه سبع سنوات .. كما أن لمالك اخوات ومنهن أم أبي بكر الأعشى - واسمه عبد الحميد بن عبد الله - وأخت أخرى هي أم اسماعيل الذي روى عن مالك . وأخت كانت تسكن عنده وتعتني به وتهيئ له فطره خبزاً وزيتاً .

وأعمامه هم : أبو سهيل نافع وأويس ، والربيع ، والنضر أولاد أبي عامر .

أبنائه : ولد للإمام مالك رحمه الله تعالى أربعة وأبنائه هم: يحيى ومحمد وحمام. أبناء وبنت هي أم البهاء وكانت ممن يحفظون علمه و تحفظ الموطأ وتعد خلف الباب تسمع الدرس فإن أخطأ القارئ نقرت الباب منبهة لهم.

وكان ابنه محمد يلهو ولا يطلب العلم فيقول مالك الأدب أدب الله هذا ابني وهذه ابنتي.

مسألة حمل أم الإمام مالك به : قال القاضي عياض واختلف في حمل امه به فقال ابن نافع الصائغ والواقدي ومعن بن محمد بن الضحاك حملت به أمه ثلاث سنين وقال نحوه بكار بن عبد الله الزبيري وقال أنضجته والله الرحم . وروى عن الواقدي أن حمل أمه به سنتان ؟.

وقد سألتني أحد الشباب عن مسألة حمل الإمام مالك ورأيت في هذه النقول فائدة :

من المنتدى الفرسان السلفى للذب عن السنة فرسان الحوار مع النصاري 01-27-2010, 04:51 PM عيسو:

ان مدة الحمل قد تصل لأربع سنوات ومنهم من قد اوصلها لخمس .. وهناك قول لسيدتنا عائشة رضي الله عنها حول ان المدة سنتين .. ويقال ان الامام مالك ولد لسنتين .. فبعض الفقهاء يرون أن مدة الحمل قد تطول إلى سنتين (الأحناف) ويرى بعضهم أنها قد تصل إلى أربع سنوات (المالكية والشافعية وبعض الحنابلة) ويرى آخرون أنها يمكن أن تصل إلى خمس سنوات (المالكية ، ورواية عند الحنابلة)..

وقول الامام بن حزم رضي الله عنه حيث قال : (لا يجوز أن يكون الحمل أكثر من تسعة أشهر ، ولا أقل من ستة أشهر ، لقول الله تعالى : وحملهُ وِفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ، وقوله تعالى : والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ

لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ ، فَمَنْ ادَّعَى حَمَلًا وَفَصَالًا فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا فَقَدْ قَالَ بِالْبَاطِلِ وَالْمَحَالِ ، وَرَدَّ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَهَارًا) ثم قال رحمه الله تعالى عن الأخبار التي تروى عن نساء حملن لعدة سنين : (وكلُّ هذه أخبارٌ مكذوبةٌ راجعةٌ إلى مَنْ لَا يَصْدُقُ وَلَا يُعْرَفُ مِنْ هُوَ ، وَلَا يَجُوزُ الْحُكْمُ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِ هَذَا .
وعن مركز الأبحاث الشرعية بدار الإفتاء المصرية التاريخ: 2007/09/20 : أجاز جمهور الفقهاء ومنهم الأئمة الأربعة أن تزيد مدة الحمل على تسعة أشهر، على خلاف بينهم في أقصى مدة، والذي اخترناه للفتوى هو ما قال به فقهاء الشافعية والحنابلة وهو أحد روايتين عن الإمام مالك من أن أقصى مدة للحمل هي أربع سنوات. تفسير القرطبي 9/ 287، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي 2/ 474.

ودليل هذا هو الاستقراء، والاستقراء يكون دليلاً في مثل هذه المسائل؛ لأنه لم يأت نص معين يحددها، فيكون تحديدها موكولاً إلى الوجود الذي يعرف بالاستقراء. الحاوي 11/ 205، المغني 8/ 98

قال ابن خويز مناد المالكى: "أقل الحيض والنفاس وأكثره، وأقل الحمل وأكثره مأخوذ من طريق الاجتهاد؛ لأن علم ذلك استأثر الله به، فلا يجوز أن يحكم في شيء منه إلا بقدر ما أظهره لنا، ووجد ظاهراً في النساء نادراً أو معتاداً؛ ولما وجدنا امرأة قد حملت أربع سنين وخمس سنين حكماً بذلك، والنفاس والحيض لَمَّا لم نجد فيه أمراً مستقراً رجعنا فيه إلى ما يوجد في النادر منهن". تفسير القرطبي 9/ 288.

وقد حدث أن رصد التاريخ وجود حمل استمر أربع سنين؛ وقد ذكر في الفتوى عده آثار تؤكد الحمل لمدة تزيد عن أربع سنين .

آثار أكثر مدة للحمل :

الأثر الأول : عمر ومعاذ رضى الله عنهما فيمن غاب عنها زوجها ووجدت حبلى.

“ أن امرأة غاب عنها زوجها ، ثم جاء وهي حامل فرفعها إلى عمر ، فأمر برجمها [وفى رواية : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين انى غبت عن امرأتى سنتين فجننت وهي حبلى فشاور عمر رضى الله عنه ناسا في رجمها] ، فقال معاذ : إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها ، فقال عمر : احبسوها حتى تضع ، فوضعت غلاما له ثنيتان ، فلما رآه أبوه [وفى رواية : فَوَلَدَتْ غُلَامًا قَدْ حَرَجَتْ ثَنَائِيَاهُ فَعَرَفَ الرَّجُلُ الشَّبَةَ فِيهِ فَم] قال : ابني [ورب الكعبة] ، فبلغ ذلك عمر فقال : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، لولا معاذ [ل]هلك عمر“.

هذا الأثر رواه عبد الرزاق (13454) وأورده من طريقه ابن حزم في المحلى (316/10) وسعيد بن منصور (1930) وابن أبى شيبه (28812) والبيهقى في الكبرى (15966) والدارقطني (3921) وابن عساكر في تاريخه (59/ 422) عن الأعمش عن أبى سفيان قال : حدثنا أشياخنا [أشياخ منا] به. وزعم محقق سير أعلام النبلاء أن صاحب الكنز قد نسب للبيهقى في الدلائل قلت : وهذا وهم منه. ورواه ابن عساكر أيضا في تاريخه (59/ 422) عن الأعمش عن أبى سفيان مرسلا به . وهذا الأثر الموقوف ضعيف لإبهام أشياخ أبى سفيان ، (هو طلحة بن نافع) قال ابن حجر صدوق وهو مدلس من الطبقة الثالثة ولكنه صرح بالتحديث هنا ، فانتفتت شبهة التدليس. وضعفه ابن حزم في المحلى (316/10)

الأثر الثانى : تعقب مالك بن أنس رحمه الله على السيدة عائشة رضى الله عنها في أقصى مدة للحمل (امرأة ابن عجلان) (عن الوليد بن مسلم يَقُولُ قُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ إِنِّي حَدَّثْتُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لَا تَزِيدُ الْمَرْأَةُ فِي حَمْلِهَا عَلَى سَنَتَيْنِ قَدَرِ ظِلِّ الْمَغْرَلِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَنْ يَقُولُ هَذَا هَذِهِ جَارِئَتُنَا امْرَأَةُ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ امْرَأَةُ صِدْقٍ وَرَوْجُهَا رَجُلٌ صِدْقٍ حَمَلَتْ ثَلَاثَةَ أَبْطُنٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ سَنَةً تَحْمِلُ كُلَّ بَطْنٍ أَرْبَعَ سِنِينَ” . رواه البيهقى في الكبرى (15330) .

المبارك بن مجاهد فذكره. قال الألباني في إرواء الغليل (7/ 189) ورجال هذا الأسناد ثقات غير المبارك بن مجاهد وقد ضعفه سوى أبي حاتم فإنه قال : (ما أرى بحديثه بأس .

الأثران الخامس والسادس: قول الواقدي عن الإمام مالك بن أنس .

“ عن مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ يَقُولُ : قَدْ يَكُونُ الْحَمْلُ سِنِينَ وَأَعْرِفُ مَنْ حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَتَيْنِ يَعْنِي نَفْسَهُ”.

رواه البيهقي في الكبرى (15963) أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو هُوَ الْوَاقِدِيُّ قَالَ سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ فَذَكَرَهُ . وَفِي رِوَايَةٍ “ عن مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ أُمَّهُ حَمَلَتْ بِهِ فِي الْبَطْنِ ثَلَاثَ سِنِينَ هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ ”.

البيهقي في الكبرى (15964) وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةٍ الْأَصْبَهَانِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ الضَّبِّيُّ حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الشَّادُكُونِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ وَاقِدٍ فِي ذِكْرِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ

والأثران مدارهما على محمد بن عمرو بن واقد الواقدي متروك فإسنادهما ضعيف جدا .

الأثر السابع :مالك بن دينار و المرأة التي تأخر وضعها .

”بَيْنَمَا مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَوْمًا جَالِسًا إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا يَحْيَى ادْعُ لِمَرْأَةٍ حُبْلَى مُنْذُ أَرْبَعِ سِنِينَ قَدْ أَصَبَحَتْ فِي كَرْبٍ شَدِيدٍ فَعَضِبَ مَالِكٌ وَأَطْبَقَ الْمُصْحَفَ ثُمَّ قَالَ : مَا يَرَى هُوَ لَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا أَنَا أَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَذِهِ الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا رِيحٌ فَأَخْرِجْهَا عَنْهَا السَّاعَةَ وَإِنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا جَارِيَةٌ فَأَبْدِلْهَا بِهَا غُلَامًا فَإِنَّكَ تَمَحُّو مَا تَشَاءُ وَتَثْبُثُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ ثُمَّ رَفَعَ مَالِكٌ يَدَهُ وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ وَجَاءَ الرَّسُولُ إِلَى الرَّجُلِ فَقَالَ : أَدْرِكِ امْرَأَتَكَ. فَذَهَبَ الرَّجُلُ فَمَا حَطَّ مَالِكٌ يَدَهُ حَتَّى طَلَعَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ عَلَى رَقَبَتِهِ غُلَامٌ جَعْدٌ قَطَطٌ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ قَدْ اسْتَوَتْ أَسْنَانُهُ مَا قُطِعَتْ أَسْرَارُهُ”.

رواه ابن عساکر في تاريخه (56/ 429) أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أخبرنا البيهقي (الكبرى(15965)) أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَمْرِو الْحَافِظُ هُوَ (الدرقطني (3924)) وروى اللالكاني في شرح أصول الاعتقاد (2504) أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ كلاهما(الدرقطني و عبيد الله بن أحمد) قال (حدثنا ، أنا) مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الْعَطَارِ حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ : صَالِحُ بْنُ عِمْرَانَ الدَّعَاءُ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَسَانَ حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ يَحْيَى الْفَرَّاءُ الْمُجَاشِعِيُّ قَالَ :بَيْنَمَا مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ فَذَكَرَهُ.

قلت : هَاشِمُ بْنُ يَحْيَى الْفَرَّاءُ الْمُجَاشِعِيُّ لَا يُعْرَفُ وَلَمْ يُرَوْ لَهُ أَثَرٌ غَيْرُهُ.

أحمد بن عسان قلت لعله (الهجيمي الزاهد) . وعلى كل فهو مجهول . فهذا الأثر ضعيف جدا

الأثر الثامن : خبر الحارث بن حصيرة في مدة حمل ابن صياد (صائد). قال أبو ذر رضي الله عنه : لنن أحلف

عشرة [إيمان] مرار أن ابن صياد [صائد] هو الدجال أحب إلي من أن أحلف مرة أنه ليس به ، وذلك أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أرسلني إلى أمه ، فقال : « سلها ، كم حملت ؟ » فسألتها ، فقالت : اثني عشر شهرا ، فقال : «

سلها ، كيف كانت صيحته حين وقع ؟ » قالت : صيحة الصبي ابن شهر ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إني قد خبأت لك خبا ، فما هو ؟ » فقال : عظم شاة عفراء ، فجعل يريد يقول : الدخان فجعل يقول : الدخ الدخ ،

فقال : « أخسا ، فإنك لن تسبق القدر ” .« رواه الطحاوي في مشكل الآثار(6 / 344) حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن

يونس البغدادي قال حدثنا علي بن معبد بن نوح البغدادي . ورواه ابن أبي شيبة(37485) ورواه صاحب تاريخ

المدينة (2 / 401) حدثنا ابن أبي جهينة ، ثلاثتهم (على بن معبد وابن أبي شيبة وابن أبي جهينة) قالوا حدثنا المعلى

بن منصور . ورواه الطحاوي أيضا في مشكل الآثار (2393) حدثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة .

ورواه عبد الله بن أحمد (21357) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا كلاهما (على بن عبد الرحمن و أحمد بن حنبل) قالوا ثنا

عفان بن مسلم . ورواه الطبراني في الأوسط (8757) حدثنا معاذ قال : نا عمرو بن سعيد الزماني . ورواه العقيلي

في الضعفاء (346) حدثناه عبد الله بن أحمد بن أبي ميسرة ، ورواه البزار في مسنده (3983) حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى كِلَاهِمَا (عبد الله بن أحمد بن ميسرة ويوسف بن موسى) قَالَا حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، أُرْبَعْتَهُم (المعلى بن منصور وعفان بن مسلم وعمرو بن سعيد والعلاء بن عبد الجبار) قَالُوا (ثنا ، عن ، نا) عبد الواحد بن زياد عن الحارث بن حصيرة قال ثنا زيد بن وهب قال قال أبو ذر فذكره. قال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن الحارث إلا عبد الواحد بن زياد » وقال البزار : وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرَوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

وقال العقيلي : ولا يتابع الحارث بن حصيرة على هذا وله غير حديث منكر في الفضائل ومما شجر بينهم وكان ممن يغلو في هذا الأمر وأما حديث ابن صياد فقد رواه جماعة من أصحاب النبي عليه السلام عنه بأسانيد صحاح وبخلاف هذا اللفظ.

وقال شعيب الأرنؤوط : حديث منكر وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين غير الحارث بن حصيرة . والحارث بن حصيرة : قال ابن حجر : صدوق يخطئ.

قال ابن حزم : وقد قال أبو حنيفة : يكون الحمل عامين، واحتج له أصحابه بحديث فيه الحارث بن حصيرة وهو هالك ان ابن صياد ولد لسنتين وهذا كذب وباطل، وابن حصيرة هذا شيعي يقول برجعة على إلى الدنيا . قلت : هو صدوق يخطئ كما قال ابن حجر . وإن كان شيعي محترق، والخبر كما سبق قال أن ابن صياد ولد لاثني عشر شهرا وليس لسنتين. وقد ثبت أنه منكر .

أخبار متفرقة : عن من حمل به أكثر من تسعة أشهر :

وهي نوعان أما أخبار يذكرها صاحبها بسند غير متصل إليه أو بلا إسناد أصلا.

الحمل بشعبة بن الحجاج :

شعبة بن الحجاج ولد لسنتين. ابن قتيبة الدينوري المعارف (133) وفي عيون الأخبار له (167) بلا إسناد.

الحمل بهرم بن حيان:

وهرم بن حيان حمل به أربع سنين ولذلك سمي هرماً. ابن قتيبة الدينوري المعارف (133) بلا إسناد. وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (48/4) وفي تاريخ الإسلام له (2/177) بلا إسناد هرم بن حيان العبدي، ويقال: الأزدي، البصري، أحد العابدين. وقيل: سمي هرماً لانه بقي حملاً [في بطن أمه] سنتين حتى طلعت أسنانه [ثنياه] .

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية (9/223) بلا إسناد “ وحملت به أمه سنتين ووضعته وله أسنان ” وذكره ابن حزم المحلي (316/10) بلا إسناد.

الحمل بالضحاك بن مزاحم :

روى عنه قولين أحدهما أقوى من الآخر والكل لا يحتج به . وها هو ابن قتيبة في عيون الأخبار (167) يبين لنا مصدر هذا الخبر.

الخبر الأول:

قال : “ روى زيد بن الحباب عن ابن سنان قال: حدثني ثابت بن جابان العجلي أن الضحاك بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهراً. (و ابن قتيبة الدينوري في المعارف (133) وابن سنان هو : سعيد بن سنان البرجمي، أبو سنان، الشيباني . وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه: ليس بقوي في الحديث، وهو الذي روى عن ثابت بن جابان عن الضحاك، وكان أبو سنان هذا يختلف إلى الضحاك مع ثابت فيشهد، وربما غاب أبو سنان، فكان أبو سنان بعد يأخذها عن ثابت، عن الضحاك، وقد سمع أبو سنان من الضحاك وحدث عنه . قال ابن حجر : صدوق له أوهام . وقال الذهبي : وثقه أبو حاتم ، وقال أحمد : ليس بالقوى.

الخبر الثاني:

فأما يزيد بن هارون فإنه روى عن جويبر أن الضحاك ولد لسنتين . ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار(167) بهذا الإسناد وذكره ابن حزم المحلى(316/10) بلا إسناد. وجويبر بن سعيد الأزدي قال ابن حجر : ضعيف جدا وقال الذهبي : تركوه.

الحمل بمالك بن أنس :

مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه حمل به أكثر من سنتين. (سبق أن الواقدي هو من قال بهذا وأنه متروك) .
وذكره ابن قتيبة الدينوري المعارف(133) بلا إسناد.

الحمل بالشافعي:

ذكر الصفدي رحمه الله أن الإمام الشافعي حمل به أربع سنين أو أقل وفي العام الذي ولد فيه مات الإمام أبوحنيفة ، فقال الحنفية للشافعية في بسطهم : ما جسر إمامكم يظهر للوجود حتى توفي إمامنا ، فأجابهم الشافعية : إمامكم ما ثبت لظهور إمامنا ... (نقلت خبر الصفدي عن أخ ولم أجده بنفسى)

نساء آل الحجاف:

قال الواقدي: سمعت نساء آل الحجاف من ولد زيد بن الخطاب يقلن ما حملت امرأة منا أقل من ثلاثين شهراً.(لم أجد له إسناد والواقدي متروك .) ابن قتيبة الدينوري المعارف(133) .

قول سعيد بن المسيب عن الحمل:

قال ابن حزم في المحلى (316/10) رويناه عن سعيد بن المسيب من طريق فيها على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وهو قول الشافعي ولا نعلم لهذا القول شبهة تعلقوا بها أصلاً، وفي حاشية الرملي على أسنى المطالب (3/ 393) وقال علي بن زيد القرشي أراني سعيد بن المسيب رجلاً فقال: "إن أباهذا غاب عن أمه أربع سنين، فولدت هذا وله ثنياً"

لم أجده في كتب السنة ولكنه فقط في أسنى المطالب عن علي بن زيد القرشي هو ابن جدعان وهو ضعيف.

نساء بنى العجلان وابناءه : وسبق الكلام عنه.

قال ابن حزم المحلى(316/10)وان نساء بنى العجلان ولدن لثلاثين شهرا . وسبق أن خرجنا مثل هذا.

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار (167)

وقال عبد الله بن صالح. حدثني الليث عن ابن عجلان أن امرأته حملت له مرة وأقامت خمس سنين حاملاً ثم ولدت له، وحملت له مرة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت.

مولاة عمر بن عبد العزيز:

قال ابن حزم المحلى(316/10) . وان مولاة لعمر بن عبد العزيز حملت ثلاث سنين . بلا إسناد. قال ابن قتيبة في عيون الأخبار (167) . قال الليث: وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاث سنين حتى خافت أن يكون في جوفهم داء ثم ولدت غلاماً. قال الليث: ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتي أهلنا.

ابن حزم فى المحلى (316/10) بلا إسناد. وقال مالك: بلغنى عن امرأة حملت سبع سنين. قال الطحاوى فى مختصر اختلاف العلماء(2/47): " وقال ابن القاسم قال مالك وقد سمعت أن امرأة حملت سبع سنين". وابن القاسم : هو عبد الرحمن بن القاسم المصرى ثقة .

خبر حمل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي : ذكر السخاوي فى التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة(2/155) بلا إسناد. محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي...ويقال: إن أمه وهى هند ابنة أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدي حملت به أربع سنين.

حمل الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن : ذكر العصامي فى سمط النجوم العوالي : (3/35)

"قلت: قد أخبرني مولانا الخطيب العلامة اللبيب نتيجة الفضلاء، وعين الأعيان النبلاء، برهان الدين، الخطيب والإمام بمسجده - عليه الصلاة والسلام - ، إبراهيم بن العلامة الفهامة واحد عصره بلا خلاف، ونسب وحده كلمة انتلاف، مولانا المرحوم الخطيب أحمد بن عبد الله الشهير بالبري نقلاً عن والده المذكور أنه حضر فى مجلس مولانا المرحوم الشريف زيد بعض متعاطي علم الرمل فضرب تخته ثم قال لمولانا الشريف زيد رحمه الله: قد دل الرمل الصحيح على أنه كان وقت علوق والدتك بنظفنتك عند الزوال فى شهر رمضان فى عام خمسة عشر بعد الألف، فاستغرب مولانا الشريف ذلك لمكان شهر الصوم، ثم إنه سأل والدته عن هذا المعنى فأجابت نعم: كان سيدي أبوك غازياً فى شهر رمضان لبعض العرب، فجاء بعد أن أدرك من النصر والنجح الأرب، وكان وصوله فى ذلك الوقت الذى ذكره هذا الرجل، فوقع على، فأدركت الحمل بك من حينى.

هكذا أخبرني - حفظه الله تعالى - نقلاً عن والده الخطيب أحمد البري المذكور. فعلى هذا تكون مدة حمل مولانا الشريف زيد زادت على تسعة أشهر "

ومن الواضح بأن فيه ما فيه من شرك وادعاء الغيب من تعاطى الرمل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الخلاصة للمسألة:

لم يصح فى هذه الآثار إلا أثر مالك بن أنس فقيه المدينة رحمه الله عن امرأة محمد بن عجلان.

وقول الإمام ليس بحجة لسببين:

1 أنه لا يأتىه الوحى الذى يعصمه من الوهم أو الغلط أو الإحاطة بالأمر.

2 لعل ما حدث لامرأة محمد بن عجلان هو وهم . بمعنى قد يكون ما يسمى اليوم حمل كاذب ثم حدث بعد ذلك الحمل الحقيقى . ويحتمل أن يكون ورم أو مرض لحق بها فظننته حمل دام أربع سنين .

*وهذه الشبهة لا يحق لأعداء الإسلام أن يتفوهوا ببنت شفة له أو ينتصبا له بحجة معارضة فيه .

لأسباب :

1 لم يصح فى كتاب أو سنة نبوية صحيحة تحديد مدة الحمل وبهما تقام الحجة.

قال ابن عبد البر فى الاستذكار (7 / 170) :

" وقد اجمع علماء المسلمين بان الولد لا يلحق الا فى تمام ستة اشهر من يوم النكاح فما زاد إلى أقصى مدة الحمل على اختلافهم فيها فمالك يجعله خمس سنين ومن اصحابه من يجعله إلى سبع سنين والشافعي مدته عنده الغاية فيها

اربعة سنين . والكوفيون يقولون سنتان لا غير ومحمد بن عبد الحكم يقول سنة لا اكثر وداود يقول تسعة اشهر لا يكون عنده حمل اكثر منها . وهذه مسألة لا اصل لها الا الاجتهاد والرد إلى ما عرف من امر النساء وبالله التوفيق“

2 كل ما ورد في هذا الشأن أما ورد عن بعض الصحابة أو بعض التابعين ولم يثبت سنداً أو ورد عن الإمام مالك وهو من كبار أتباع التابعين . وسبق الكلام عن توجيه المسألة أو ورد في صورة أخبار ليس لها إسناد أو لم تصح سنداً عنهم هو دونهم.

3 لقد ورد عن الصحابة ما يدل على أنهم يعتبرون أن الحمل يصل لتسعة أشهر . روى الطحاوي في مشكل الآثار (2394، 2395) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إذا كان الحمل تسعة أشهر كفاها من الرضاع أحد وعشرون شهراً ، وإذا حملت ستة أشهر كفاها من الرضاع أربعة وعشرون شهراً ، ثم قرأ ابن عباس وحمله وفصاله ثلاثون شهراً.

ولقد ورد عن عمر بن الخطاب :

قال ابن حزم في المحلى (316/10) : روينا من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني يحيى ابن سعيد الانصاري انه سمع سعيد بن المسيب يقول: قال عمر بن الخطاب: “أبما رجل طلق امرأته فحاضت حيضه أو حيضتين ثم قعدت فلتجلس تسعة أشهر حتى يستبين حملها فان لم يستبين حملها في تسعة أشهر فلتعتد بعد التسعة الأشهر ثلاثة أشهر عدة التي قد قعدت عن المحيض.“

4 لا يعنى من قال من علماء المذاهب الفقيهية أن الحمل يزيد عن تسعة أشهر أنهم كانوا متساهلين في عدم إقامة حد الزنا أو ثبوت النسب . بل عندهم إذا اتت امرأة وادعت أنها حامل منذ أربع سنين أو سبع منذ فارقتها زوجها لا يقبل قولها حتى تأتي بدليل . بل لا يعنى قولهم هذا أنهم غير مقرين بأن غالب النساء يلدن عند تسعة أشهر بل لقد وردت إليهم أخبار مشكوك فيها فحكموا بها وعلى الحد الأقصى للحمل مع أن الغالب هو 9 أشهر.

فهذا اجتهادهم ومن أجتهد فلن يعدم أجراً أو أجرين.

أضف لذلك أنه :

ذكرت صحيفة (المحقق الطبي) الأمريكية في 27 ديسمبر 1884م امرأة دام حملها 15 شهراً و 20 يوماً،

وورد في مجلة (تاريخ الأكاديمية) الفرنسية ذكر حمل دام 36 شهراً أي ثلاث سنين .

ولقد قال د. عبد الرشيد بن محمد أمين بن قاسم

“ وقد سألت الشيخ عبد المجيد الزنداني – واضع أسس علم الإعجاز العلمي في القران والسنة _ في 1422/4/4 هـ الموافق 26 / 6 / 2001م بمكة عن ما جاء في كتب الفقهاء من امتداد فترة الحمل لسنتين فأخبرني أنه سأل طبيباً عالمياً مختصاً في علم الأجنة بكندا وذكر الطبيب أن هذا التأخر يرجع إلى مدى استعداد جهاز المناعة للطفل ولم يرفض مبدأ تأخر الحمل“ .

فهذه الأخبار وإن لم تكن حجة فإنها ترد على من يقول أن فقهاء الإسلام يقولون بما لم يقل به غيرهم من الأمم.

وكل يوم نسمع عجائب الاخبار في الحمل و الولادة عن حالات شاذة فما العجيب ان تطول مده حمل امراه عن تسع شهور الان يمكن تحديد المولود ومتابعته بالأجهزة ولكن في القديم في وسط الصحراء كيف كانت ستمت متابعته . انتهى البحث .

نسبه : وينتهي نسبه إلى يعرب بن يشجب بن قحطان . جده مالك بن أنس وهو من كبار التابعين وأحد الذين حملوا وغسلوا وكفنوا وصلوا ودفنوا الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ليلا إلى قبره في البقيع كما ذكر ذلك القشيري، وأبو عامر جد أبيه هو أول بيته اسلاما وقالوا صحابي شهد المغازي كلها مع رسول الله ما خلا بدرًا، وكان الامام ينسب اليه فيقال ابن ابي عامر وأما والدة الإمام مالك رضي الله عنه فهي العالية بنت شريك بن عبد الرحمن الأسديّة ، والإمام مالك هو امام دار الهجرة وشيخ الاسلام حقا أحد أصحاب المذاهب الأربعة المدونة المعروفة والمشهورة في بلاد المسلمين.

طفولة الإمام مالك وتربيته :

حفزه قول أبيه له لما عجز عن الجواب عن مسألة سألتها له أبوه وأجاب أخوه - النضر - عنها قائلًا لقد شغلك لهو الحمام يا مالك فغضب ولازم العلم والعلماء وبدأ الإمام مالك طلبه للعلم وهو غض طري، فقد عمته أمه وأرسلته الى ربيعة الرأي قائلة اذهب وخذ من ربيعة أدبه قبل علمه ،- كما قالت أم سفيان الثوري لسفيان ولدها : اذهب واطلب العلم اكفك بمغزلي . ، حفظ القرآن وهو صغير ثم الحديث وجالس أهل العلم منذ صغره . فاصبح فقيها صاحب مذهب وحفظ اكثر من مائة الف حديث - فحصل من العلم الكثير، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة وهو ابن إحدى وعشرين سنة، كما قصده طلاب العلم من كل حذب وصوب.

ملاح شخصية الإمام مالك وأخلاقه وصفات الإمام مالك الخلقية :

قال مصعب الزبيري: "كان مالك من أحسن الناس وجهًا، وأحلام عينًا، وأنقاهم بياضًا، وأتمهم طولًا في جودة بدن". وقال أبو عاصم: "ما رأيت محدثًا أحسن وجهًا من مالك." كان طوالا جسيما أبيض الرأس واللحية . لونه أبيض مشوبا بحمرة . و عن أشهب كان مالك إذا اكتحل لضرورة جلس في بيته . وكان رحمه الله تعالى ربعة من الرجال يحفي أطراف شاربه ولا يحلقه ويرى حلقه مثله ويحتج بفنل عمر شاربه إذا أهمه أمر ، ولم يكن يخضب شعره وذكر أحمد بن حنبل عن اسحاق بن الطباع قال رأيت مالك بن أنس لا يخضب فسألته عن ذلك فقال : بلغني عن علي رضي عنه أنه كان لا يخضب ووصفه أبو حنيفة أنه أشقر أزرق . وقالوا كان له قبل أن يصلح شعرة قد فرقها . وكان يستعمل أجود الطيب والمسك . وكان يعنى بلباسه ويتأنق في زيه أيما تأنق ويرى ذلك من تعظيم العلم وسمت العالم . وكان يجعل خاتمه في يساره وقد يحوله إلى يمينه وهو من فضة فصه حجر أسود نقش عليه : (حسبنا الله ونعم الوكيل) . مع اعتنائه بفراش داره وأثاثها ولم يكن يملك دارا بل يكتريها . ويعتني بغذائه وغذاء أهله فيفطر على الخبز والزيت ويتناول اللحم كل يوم ويحب من الفاكهة الموز ويقول أنه يشبه فاكهة الجنة . ويشرب في الشتاء السكر وفي الصيف العسل أي مخلوطين بالماء . وكان يركب بغلته بتأنق خارج مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما لمدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ومن صفاته : ((ماورد عن المستشرقين والتعقبات على ما أورده المستشرق (شاخت) في ترجمة الإمام مالك من دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية إعداد الباحث: نبيل أحمد بلهي الجزائري :

أورد المستشرق (جوزيف شاخت) في تحريره لمادة (مالك بن أنس) من دائرة المعارف الإسلامية، وهي ترجمة لهذا العلم من وجهة نظر استشراقية ، حوت روايات باطلة وآراء خاطئة عن الإمام مالك . وقد بعد المستشرق (شاخت) عن المنهج العلمي في النقد، والموضوعية في الطرح . وليس يخفى على الباحثين مدى خطورة الاستشراق والمستشرقين على الإسلام والمسلمين، بما يقدمونه من دراسات حول الإسلام برجاله وتراثه، مشككين في دين الإسلام، ويعملون على سلب ثروات المسلمين، وقد سخرت الدول الغربية للدراسات الشرقية إمكانات مادية وبشرية هائلة، وأنشأت مراكز وجامعات يسهر على تطيرها علماء متخصصون، وتَمَوَّنُ بسخاء من طرف جهات مشبوهة، ولعلَّ هذا الأمر يبرز جليا في إنتاج المستشرقين لدائرة المعارف الإسلامية ، التي تعد عملا علميا ضخما تطلب من

الجهد والمال والوقت الشيء الكثير، كل هذا من أجل تقديم تصور غربي عن الإسلام يكون هو النافذة المهمة الوحيدة لمن أراد التعرف عليه.

ولقد تفتن العلماء المسلمون لخطورة هذه الموسوعة فترجموها إلى اللغة العربية وألحقوا بها تعقيبات على بعض الآراء - كما فعل الشيخ أحمد شاكر في تعقبه على هذه الموسوعة فيما يتعلق بالحديث وعلومه- ولقد كان هذا في وقت لم يكتمل فيه ترجمة جميع أجزاء الموسوعة، ثم طبعت مؤخرًا الترجمة الموجزة الكاملة لدائرة المعارف الإسلامية، بتمويل من إمارة الشارقة سنة 1998م، فظهرت الأجزاء الأخيرة مترجمة لأول مرة، فلما أطلعت على الجزء الذي فيه (حرف الميم) وجدت أن المستشرق (شاخنت) قد حرر فيه مادة (مالك بن أنس)، فلما تمعنت في ترجمته لهذا الإمام العظيم، هالني ما أورده هذا المستشرق من قصص باطلة وآراء خاطئة تشوه سيرة الإمام وعلمه، ضمَّنها طعوناً صريحة ومبطناً لمكانته في العلم؛ وظهر لي أربع شبه خطيرة قد تنطلي على من لا علم له، بل قد تأثر بها بعض الكتاب المسلمين فضلاً عن كثير من المستشرقين .

01 أول شبهة : القصة التي تقول أن مالك كان يريد أن يكون مغنياً ثم ترك الغناء.

نص الشبهة :

قال (جوزيف شاخنت) في ترجمة الإمام مالك في دائرة المعارف الإسلامية: "وجاء في كتاب الأغاني إنه كان يريد في البدء أن يكون مغنياً، وأنه غير مسار حياته إلى دراسة الفقه، بناء على نصيحة أمه، ولا نعرف إلا القليل من المعلومات المؤكدة عن دراسته ..".

ولقد أوردها كذلك (كارل بروكلمان) في كتابه تاريخ الأدب العربي فقال: "وروي أن مالكا كان يعاشر في شبابه مغني المدينة، فقالت له أمه: يا بُنَيَّ إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يَلْتَفِتْ أحد إلى غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه فإنه لا يضر معه قبح الوجه، فترك المغنين واتبع الفقهاء ."

توثيق القصة:

أصل هذه القصة ما جاء في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: "أخبرني محمد بن عمرو العتابي، قال: حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان - ولم أسمعها أنا من محمد بن خلف- ، قال: حدثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي، قال: حدثني حسين بن دحمان الأشقر قال: كنت بالمدينة فخلا لي الطريق وسط النهار فجعلت أتغنى: (ما بال أهلِكَ يا رَبابُ ... خُرُراً كأنهم غِضابُ)

قال: فإذا خوخة قد فُتِحَتْ، وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء، فقال: يا فاسق أسأت التأدية، ومنعت القائلة، وأذعت الفاحشة، ثم اندفع يغنيه، فظننت أن طويساً قد نشر بعينه، فقلت له: أصلحك الله من أين لك هذا الغناء؟ فقال: نشأت وأنا غلام حدث أتبع المغنين وأخذ عنهم، فقالت لي أمي: يا بني، إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يَلْتَفِتْ إلى غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه؛ فإنه لا يضر معه قبح الوجه، فتركت المغنين واتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي عز و جل ما ترى، فقلت له: فأعد جعلت فدائك، قال: لا، ولا كرامة أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس، وإذا هو مالك بن أنس، ولم أعلم" الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني: 4 / 159. وانظر القصة في: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: 4 / 216-217. ولقد انتقلت هذه الشبهة - وللأسف- إلى المسلمين، فذكرها الشرباصي في كتابه الأئمة الأربعة: ص 72. ولقد تلفقها الشيعة وشنعوا على أهل السنة بها، ونالوا من الإمام مالك بسببها. حتى قال صاحب كتاب بهج الصباغة شرح نهج البلاغة (7 / 326): "فممن تسمى عالما و ليس به من أئمتهم الأربعة، مالك بن أنس الذي كان مغنياً من تلامذة طويس المغني كما في (الأغاني) و كان قبيح الوجه ، فأشارت أمه إليه بطلب الفقه فصار إمام ضلال".

إن المنهج العلمي الذي يحتكم إليه الباحثون، يقتضي التثبت في نقل الأخبار عن المشاهير، ولكننا نرى الأستاذ شاخت، يقع في خطأين كبيرين في نقله لهذه القصة في ترجمة مالك:

أولاً: نقله للقصة من كتب الأدب، وإعراضه عن كتب التراجم، فالأصل أن يعتمد في ترجمة الإمام مالك على كتب السير والتراجم المتخصصة؛ لأنها أوثق المصادر وأقربها للحقيقة العلمية، كطبقات ابن سعد المتوفى سنة: 230 هـ، والمعارف لابن قتيبة المتوفى سنة: 276 هـ؛ لأنها قريبة جداً من عصر مالك، لكن هيهات أن يجد في مثل تلك المصادر الموثوقة مثل هذه الحكاية المكذوبة، فلقد انفرد الأصفهاني بنقل هذه القصة، وتعصبه ضد العرب معروف مشهور، وإنما أوردها الأستاذان (شاخت) و (بروكلمان) بغرض الحط من قدر أئمة الإسلام والتهوين من شأنهم، حتى يقال أن هذا الإمام المعظم عندكم صاحب المذهب، ما هو إلا مغن سابق، سلك طريق الفقه من أجل الرفعة والمكانة في مجتمعه، وهذا من الدس والطعن الذي اعتاده المستشرقون.

ثانياً: عدم تثبته من صحت تلك الأخبار، واعتماد تلك الحكاية دون تمحيص لسندها ومتنها، وهم من يدعون إتقان النقد الداخلي والخارجي للأخبار، ولكن فرحهم بتلك الحكاية التي تحط من قيمة الإمام مالك ومكانته الدينية، جعلهم يعتمدونها؛ لأنها تخدم أهدافهم العامة من الدراسات الاستثنائية التي من بينها: نزع القداسة عن علماء الدين الإسلامي، وتصويرهم بأبشع الصور، والتنقيب عن الحكايات المؤيدة لذلك، بغرض زعزعة الثقة بهم في نفوس أتباعهم من المسلمين.

و عند إخضاع هذه القصة إلى ميزان النقد العلمي، يتبين لنا جلياً أنها ظاهرة في التناقض والبطلان، سنداً ومنتناً.

أولاً: من جهة الإسناد: بالنظر إلى إسناد هذه القصة يبطل العجب من منتها، فلقد رويت من طريق مجاهيل، ومدارها على إسحاق بن محمد النخعي الأحمر، وهو كذاب وضاع من الزنادقة الذي تنسب إليه الفرقة الإسماعيلية الذين يقولون بألوهية علي بن أبي طالب .

قال الخطيب البغدادي: "وهو إسحاق الأحمر وكان من الغلاة واليه تنسب الطائفة المعروفة بالإسماعيلية وهي ممن يعتقد في علي الإلهية." وقال ابن الجوزي: "كان كذاباً من الغلاة في الرافض." وقال الذهبي: "رافضي كذاب مارق." وقال ابن حجر: "إسحاق بن محمد النخعي الأحمر كذاب مارق من الغلاة، روى عن عبيد الله بن محمد العيشي، وإبراهيم بن بشار الرمادي، وعنه: ابن المرزبان، وأبو سهل القطان، وجماعة. قال الخطيب: سمعت عبد الواحد بن علي الأسدي، يقول: إسحاق بن محمد النخعي، كان خبيث المذهب يقول إن علياً هو الله، وكان يطلي برصه بما يغيره، فسمي: الأحمر." وليس هذا هو حاله عند أهل السنة فحسب، بل حتى الشيعة يتبرؤون منه لغلوه وخبث مقالاته، فلقد ذكروا في ترجمته ما يلي: قال النجاشي: هو معدن التخليط وله كتب في التخليط، وقال: ابن الغضائري: إنه كان فاسد المذهب، كذاباً في الرواية، وضاعاً للحديث مشهور .

ولقد صرح الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة هذا الكذاب، أنه هو الذي اختلق قصة غناء الإمام مالك، قال - رحمه الله- مبيناً سبب الترجمة له في كتابه مع أنه زنديق: "واعذار المصنف عن أئمة الجرح عن ترك ذكره لكونه زنديقاً ليس بعذر؛ لأن له روايات كثيرة موقوفة ومرفوعة، وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج منها جملة كبيرة، فكيف لا يذكر ليحذر؟!... وإسحاق بن محمد هذا، اسم جده أبان وهو الذي يروي محمد بن خلف بن المرزبان عنه، عن حسين بن دحمان الأشقر قال: كنت بالمدينة فخلا لي الطريق نصف النهار، فجعلت أتغنى: ما (بال أهلك يا رباب) الأبيات، وفيه قصة مالك معه وإخباره عن مالك أنه كان يجيد الغناء في حكاية أظنها مختلفة، رواها صاحب كتاب الأغاني عن المرزبان، ولا يُغْتَرَّبُ بها فإنها من رواية هذا الكذاب." فالعجب ممن يدعي المنهج العلمي كيف يترك روايات الثقة وأخبارهم؟ ويعتمد روايات الكذابين في كتابة موسوعة علمية ضخمة كدائرة المعارف الإسلامية!! .

- ... ولا بد أن أشير إلى أن كتاب الأغاني للأصفهاني فيه من الطامات والخزعات، ما يوهن التقوى في القلوب ويشجع على الهبوط والإسفاف والرذيلة، وقد طالت سهامه المسمومة الكثير من أهل الفضل والشرف والرفعة والحسب، فنسب إليهم ما لا يجوز نسبه إلا لأهل المجون والانحلال، حتى أهل بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لم يسلموا من طعنه فيهم صراحة بروايات لا تستقيم سنداً ولا متناً، وفي روايات مجهولون أو كذابون دجاجة أو أسانيد منقطعة، تتقطع القلوب حسرة وغيره على الدين وأهله عند سماعها. ومن ذلك افتراؤه عن عائشة بنت طلحة وعن سَكِينَةَ بنت الحسين سيد شباب أهل الجنة من أخبار اللهو والمجون ما يندى له الجبين. وصاحب كتاب الأغاني هذا هو أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصبهاني قال عنه الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء: وكان وسخاً زرياً، وكانوا يتقون هجاءه. وقال الذهبي أيضاً: رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يضعفه ويتهمه في نقله ويستهل ما يأتي به . ولمعرفة ما قيل حول الأصفهاني هذا وما في كتابه الأغاني من بلايا وطامات، يرجع إلى:

كتاب الأستاذ وليد الأعظمي: "السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني"، وكتاب: "كتب حذر منها العلماء" للشيخ مشهور سلمان . وقد أحوالوا فيهما على مراجع أخرى للاستفادة منها. - بونوة عن فتاوى الشبكة الإسلامية المؤلف: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية تم نسخه من الإنترنت: في 1 ذو الحجة 1430 هـ = 18 نوفمبر، 2009 م

ثانياً: من جهة المتن.

من دلائل بطلان هذه القصة مخالفتها للواقع الذي كان عليه الإمام مالك، فلقد جاء في ترجمته في المصادر الأصلية الموثوقة، أنه كان أبيض حسن الوجه والصورة، وصاحب هذه القصة المكذوبة يزعم أن أمَّ الإمام مالك أرشدته إلى ترك الغناء والإقبال على الفقه، وعلَّت ذلك بأن المغني لا يكون قبيح الوجه، وهذا يُشعرُ بأن الإمام مالك كان قبيح الوجه- بحسب هذه القصة- بينما المصادر الأصلية ذكرت أوصاف الإمام مالك على غير ذلك، كما أن راوي القصة يزعم أن الذي أطلَّ عليه من الخوخة رجل ذو لحية حمراء، والإمام مالك كانت لحيته بيضاء ولم يكن يخضب لحيته، وفي هذه النقول ما يبين ذلك :

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى: "أخبرنا مطرف بن عبد الله اليساري، قال: كان مالك بن أنس طويلاً، عظيم الهامة، أصلع، أبيض الرأس واللحية، أبيض شديد البياض إلى الشقرة، وكان لباسه الثياب العدنية الجياد، وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثل، كأنه مثَّل بنفسه ."
وقال ابن قتيبة في المعارف: "وكان شديد البياض إلى الشقرة طويلاً، عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب العدنية الجياد، ويكره حلق الشارب، ويعيبه ويراه في المثلة ولا يغير شبيهه ."
وقال القاضي عياض: "قال أبو عاصم: ما رأيت محدثاً أحسن وجهاً من مالك، وقال عيسى ابن عمر المدني: ما رأيت قط بياضاً ولا حمرة أحسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب منه. ووصفه غير واحد من أصحابه، منهم مطرف وإسماعيل والشافعي وبعضهم يزيد على بعض، قالوا كان طويلاً جسيماً عظيم الهامة أبيض الرأس واللحية شديد البياض إلى الصفرة، أعين، حسن الصورة، أصلع، أشم، عظيم اللحية تامها، تبلغ صدره ذات سعة وطول، وكان يأخذ إطار شاربه ولا يحلقه ولا يحفيه ويرى حلقه من المثل... وقال مصعب الزبيري كان مالك من أحسن الناس وجهاً، وأجلاهم عيناً وأنقاهم بياضاً وأتمهم طولاً في جودة بدن... قال محمد بن الضحاك: كان مالك جميل الوجه نقي الثوب رقيقه يكره أخلاف اللباس ."

وبعد هذا التدقيق يتبين جلياً أن الذي كان يغني في شوارع المدينة، لا يمكن بحال أن يكون هو الإمام مالك؛ لأن مواصفاته لا تتطابق مع ما هو معروف عنه بالتواتر .

وإذا نظرنا من جهة أخرى فإن المعلوم المشهور من سيرة مالك وفقهه، أنه كان يحرم الغناء ويقول فيه قولاً شديداً، ولا يُعقل من هذا الإمام أن يفعل شيئاً ثم يحرمه، وهذا يدل على نكارة متن هذه القصة، وأنها مختلفة تخالف ما كان

عليه مالك - رحمه الله -، وهذا الأمر ليس ببعيد أن يُنسب لهذا الإمام تحليل بعض المحرمات، فإن من عادة الوضّاعين وأصحاب الأهواء، أن ينسبوا بعض المحرمات لبعض العلماء المقتدى بهم، لاستباحتها وتهوين شأنها للناس، ولسان حالهم يقول: مادام فلان من العلماء فعله - وهو في العلم من هو - فلا بأس بالتّرخّص به، ولقد ذكر ابن تيمية أن مالكا رحمه الله نسب له مثل هذه الأمور فقال: "...فَعَلِمَ أن هذا كذِبُّ علي مالك مخالفاً لمذهبه، كما كذبوا عليه أنه كان يأخذ طنبوراً يضرب به ويغني لما كان في المدينة من يغني، حتى إن أكثر المصنفين في إباحة السماع، كأبي عبد الرحمن السلمي، والفشيري، وأبي حامد، ومحمد بن طاهر المقدسي، وغيرهم يذكرون إباحته عن مالك وأهل المدينة، وهو كذب؛ فإنه قد عَلِمَ بالتواتر من مذهبه النهي عن ذلك، حتى قال إسحاق بن الطباع: سألت مالكا عمّا يترخص فيه أهل المدينة من الغناء، فقال: إنما يفعله عندنا الفساق". - والعجيب أن السويدان في ترجمته للإمام مالك الترجمة في كتاب ذي طبعة جميلة مصورة، وجدته أورد قصة ميله للغناء مقتبل عمره. والعجب في قبوله القصة وكذا امراره للقصة دون تثبت -.

02 شبهة التعقب على قصة تأييد مالك لمحمد النفس الزكية في خروجه على الخليفة ثاني .

نص الشبهة :

يقول شاخت : "وعندما قام محمد بن عبد الله بتمرد في عام 145هـ / 762م، تولى على أثره حكم المدينة، أعلن مالك في (فتوى) أن البيعة التي أعطيت للمنصور ليست ملزمة؛ لأنها تمت تحت ضغط وقسر، وعلى أثر هذه الفتوى انضم كثيرون إلى محمد بن عبد الله، وإن لم يشترك مالك نفسه في الانتفاضة . "و يقول كارل بروكلمان: "...وكان يتشيع فلما خرج محمد بن عبد الله العلوي بالمدينة، على بني العباس سنة 145هـ / 762م، أفتى بأن الناس بايعوا بني العباس وهم مكرهون، وليس على مكره يمين. ولعله صالح بني العباس بعد ذلك، وقد روى أن الخليفة هارون سمع درسه لما جاء في الحج إلى المدينة، وذلك قبل وفاته بقليل 179هـ / 795م ."

توثيق القصة :

أخرج هذه القصة ابن جرير الطبري في تاريخه قال: "وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن سنان الحكمي، أخو الأنصار، قال: أخبرني غير واحد، أن مالك بن أنس أسنفتي في الخروج مع محمد، وقيل له: إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على كل مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته . " وأخرجها كذلك أبو الفرج الأصفهاني في كتابه (مقاتل الطالبين) قال: "قال أبو زيد: وحدثني سعيد بن عبد الحميد، قال حدثنا جهم بن جعفر الحكمي، قال: أخبرني غير واحد: أن مالك بن أنس استفتي في الخروج مع محمد بن عبد الله، وقيل له: إن في أعناقنا بيعة لأبيه جعفر. فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد بن عبد الله ."

الرد على الشبهة:

من المعلوم في سيرة الإمام مالك - رحمه الله - أنه كان على مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة طاعة ولاة الأمور وترك الخروج عليهم وإن جاروا، لما في ذلك من حفظ لمصلحة الدين والدنيا، في مقابل مفسدة الجور والظلم، وهذه الرواية التي فرح بها المستشرقون التي تنسب إلى الإمام مالك تأييد الثورة والخروج على الحاكم وخلع البيعة، تخالف النهج العام الذي كان عليه الإمام مالك، ولعل السر في احتفاء المستشرقين بهذه القصة، هو محاولة تصوير الإمام مالك في صورة العالم الثائر على سلطة بلاده، وهذا يخدم هدفهم العام في دراساتهم عن التاريخ الإسلامي، وهو تمجيد الحركات الدينية المناوئة للحكام كالخوارج والزندقة وغيرها باسم حرية الفكر، وتصوير الحكام في العصور الإسلامية بأنهم سلطة دموية مستبدة على الإطلاق، كانت تقف في وجه حرية التفكير والإبداع، وأن العلاقة بين العلماء والأمراء كانت دائما علاقة صراع ومناوذة، وهذا من التشويه لتاريخ الإسلام والمسلمين . لذا كان من الواجب البحث في حيثيات هذه القصة من جانب الرواية والدراية:

إذا نظرنا في إسناد هذه القصة يبطل العجب من متنها، فلقد رواها ابن جرير في تاريخه، قال: "حدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن سنان الحكمي أخو الأنصار قال أخبرني غير واحد أن مالك بن أنس استفتى في الخروج مع محمد..."

- فسعد بن عبد الحميد: وإن كان صدوقاً في نفسه، إلا أن النقاد تكلموا فيه، بسبب تحديته بالمناكير عن المشاهير، قال ابن حبان: "وكان ممن يروى المناكير عن المشاهير، ممن فحش خطوه، وكثر وهمه، حتى حسن التَّنَكُّب عن الاحتجاج به". وكانوا ينكرون عليه ادّعاءه سماع عرض مالك للموطأ، ففي تهذيب الكمال ما نصه: "قال مهنا بن يحيى: سألت أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبا خيثمة عنه، فقالوا: كان هنا في ربض الأنصار يدعي أنه سمع عرض كتب مالك، قال أحمد: والناس ينكرون عليه ذلك، هو هنا ببغداد لم يحج فكيف سمع عرض مالك".

- وفي الإسناد كذلك إبهام، وهو قول سعد بن عبد الحميد: أخبرني غير واحد، ولم يسمهم، ولا يُدرى من هم، وهل هم عدول أم لا؟ وهل حضروا المجلس الذي وقعت فيه الفتوى، أم هو خير شاع فحدثوا به؟ ولا شك أن هذه القصة بمتنها المنكر لا يُحتمَلُ قَبُولُهَا من رواية رجال مبهمين لا يُدرى من هم.

وأما رواية أبو الفرج الأصفهاني للقصة، فقد ذكر فيها رجلاً آخر في الإسناد، حيث قال: "قال أبو زيد: وحدثني سعيد بن عبد الحميد، قال حدثنا جهم بن جعفر الحكمي، قال: أخبرني غير واحد: أن مالك بن أنس استفتى في الخروج مع محمد..."

وجهم بن جعفر الحكمي لم أقف له على ترجمته، والذي يغلب على ظني أن في الإسناد وهم وتصحيف، وإنما الصواب: سعيد بن عبد الحميد بن جعفر الحكمي، كذا في ترجمته، فوهم الرواي فجعلهما رجلين. ويؤيد ذلك رواية ابن جرير الطبري بهذه الصيغة دون ذكر رجل بين سعد ومن حدثه، فالقول في هذه الرواية كالفول في الرواية السابقة.

والذي نخلص إليه بعد دراسة إسناد هذه القصة، أنها رويت من طريق رجل صدوق متكلم فيه يغرب عن المشاهير، لا يحتج بخبره إذا انفرد، عن جماعة مبهمه لا يُدرى حالهم عن مالك بن أنس، وهذا غير كافٍ لإثبات وقوع حادثة مهمة، كافتاء مالك بن أنس بجواز خلع بيعة بني العباس، إذ لو وقعت لتوفرت الدواعي لنقلها، ولتحدث الناس بها لأهميتها، وكيف غابت هذه القصة التي تعم بها البلوى عن خواص تلامذة مالك؟ الذين كتبوا عنه كل صغيرة وكبيرة، خاصة وأن المعروف عن مالك سلوك غير هذه الطريق.

— والخلافة العباسية سبقتها اضطرابات شديدة في أكثر البقاع الإسلامية وحروب شديدة اشتجرت فيها السيوف الإسلامية فكان بأسهم بينهم شديداً وكان الإمام مالك يراقب هذه الحال بنفس غير راضية بل متوجسة من أن يصير أمر الأمة بدداً فيطمع بها العدو. وكان الإمام مالك غير راضٍ عن هذا الوضع لا لأنه يبغض بني العباس ويحب بني أمية بل لأنه قد ذهب الاستقرار الذي كان ينعم به، والاطمئنان الذي يمكنه من مواصلة حياته العلمية آمناً هادئاً. ولما استقرت الأمور بعد أن قضى أبو جعفر على خراجة العلويين عليه، رضي مالك بعد سخطه، وصار موقفه من العباسيين كموقفه من الأمويين يرضى بسלטانهم منعاً للفوضى وحفظاً للأمن ودفعاً للفتن. — وكثير من الدعاة والمفكرين في العصر الحديث، لا ينكرون كذبة خروج مالك عن الحاكم وتشيعه مع النفس الزكية. لأن فكر هؤلاء يؤيد الخروج عن الحاكم الظالم دون مراعاة المآلة والنتائج ولا يتثبتون من الرواية. — ولم ينظروا إلى روايات تقول: ولقد وجد في خلفاء بني العباس سامعين لنصائحه مسترشدين بمواعظه فشجعه ذلك على الاتصال بهم وقبول هداياهم ولذلك كان يدخل على الأمراء والخلفاء ويعظهم ويرشدهم ويدعوهم إلى الخير، وكان يحث العلماء على إرشاد الخلفاء والأمراء، وقول الحق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لكن بحكمة وفقه، وقيل لمالك تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون؟ فقال: يرحمك الله و أين المتكلم بالحق؟. —

وأما مضمون القصة فهو يخالف ما هو معروف عن الإمام مالك، من إتباع السنة وترك الخروج على الولاة ولو لظلمهم ، فالإمام مالك لرسوخ علمه وتشبعه بسنة النبي ، يعلم أن الخروج على ولاة الأمور، وخلع بيعتهم يؤلّد من الشرور أضعاف ما يكون عليه الولاة من الظلم ، فلم يكن الإمام مالك ليفتي بخلع بيعة أبي جعفر المنصور، والخروج مع محمد بن عبد الله النفس الزكية ، وهو الإمام السني الذي لا يرى رأي الخوارج ، وهذا يدل على نكارة متن القصة ، فإن المأثور عنه ذمّ الخوارج وطريقتهم في الخروج على ولاة الأمور، فلقد سئل ابن القاسم عن موقف مالك من الخوارج، فقيل له: "أرأيت قتل الخوارج ما قول مالك فيهم ؟ قال : قال لي مالك في الإباضية، والحرورية، وأهل الأهواء كلهم: أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا .

قال ابن القاسم، وقال مالك في الحرورية وما أشبههم : إنهم يقتلون إذا لم يتوبوا إذا كان الإمام عدلا، وهذا يدل على أنهم إن خرجوا على إمام عدل يريدون قتاله، ويدعون إلى ما هم عليه دعوا إلى الجماعة والسنة ، فإن أبوا قوتلوا .

قال: ولقد سألت مالكا عن أهل العصبية الذين كانوا بالشام ؟ قال مالك : أرى الإمام أن يدعوهم إلى الرجوع إلى مناصفة الحق بينهم ، فإن رجعوا وإلا قوتلوا...قلت : أرأيت قتلى الخوارج أيسل على عليهم أم لا ؟ قال : قال لي مالك في القدرية والإباضية : لا يصل على موتاهم ولا تشهد جنازتهم ولا تعاد مرضاهم ، فإذا قتلوا فأحرى أن لا يصل عليهم ."

فهذه نصوص صريحة عن الإمام في ذم الخروج على السلطان مطلقا، لا تقاومها مثل تلك القصة المنكرة، خاصة وقد جاء فيها أن الإمام ملك أفتى ببطلان بيعة المنصور والخروج مع محمد بن عبد الله، ثم قعد في بيته، و ما كان لإمام مثل مالك أن يفتي بشيء ويعمل بخلافه فلو كان يرى الخروج على السلطان لبادر للحاق بمحمد بن عبد الله ومقاتلة السلطان، فمن أجل هذا كله رجح كثير من المعاصرين بطلان هذه القصة .

يقول أبو زهرة: " ولقد ظن ابن جرير المؤرخ أن مالكا كان بتحديثه بهذا الحديث، يحرض على بيعة محمد بن عبد الله، فلقد روى أن مالكا أفتى الناس بمبايعته... ونحن نختار أنه ضرب لتحديثه بهذا الحديث في وقت خروج محمد بن عبد الله بالمدينة، لا أنه كان يحرض بذلك التحديث، بل الذي نعتقده أنه حدث بهذا ورواه، ونقله الناس عنه، فوجد الناس فيه ما يدل على أنه يجوز أن يتحللوا من بيعة المنصور، زاعمين أنها كانت بالغلبة والإكراه، ووجد الكاندون لمالك في ذلك فرصة للكيد له، فأخبروا والي المدينة بذلك فكانت المحنة ."

لذا فالصحيح في قصة الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور ومحنته معه، أن الإمام مالك كان يحدث بحديث « ليس على مستكره طلاق ». وقت خروج النفس الزكية، وكان خلفاء بنو العباس يوثقون البيعة لأنفسهم باستكراه الناس على إيقاع الأيمان بطلاق النساء إن خلعوا البيعة، فأفتى الإمام مالك ببطلان الإكراه على اليمين، وليس ببطلان البيعة، ولكن حاسدوه جعلوا ذلك قادحا في بيعة العباسيين فوشوا به حتى ضرب على ذلك، يقول ابن خلدون: "كان الخلفاء يستحلفون على العهد ويستوعبون الأيمان كلها، لذلك فسمي هذا الاستيعاب أيمان البيعة، وكان الإكراه فيها أكثر وأغلب، ولهذا لما أفتى مالك رضي الله عنه بسقوط يمين الإكراه أنكرها الولاة عليه، ورأوا قاده في أيمان البيعة، و وقع ما وقع من محنة الإمام رضي الله عنه . " قال ابن عبد البر: "قال الطبري: اختلف فيمن ضرب مالكا، وفي السبب في ضربه، وفي خلافة من ضرب؟ فالأشهر أن جعفر بن سليمان هو الذي ضربه في ولايته الأولى بالمدينة. وأما سبب ضربه رضي الله عنه: فقيل: إن أبا جعفر نهاه عن الحديث: « ليس على مستكره طلاق ». ثم دس إليه من يسأله عنه فحدث به على رؤوس الناس، وقيل إن الذي نهاه كان جعفر بن سليمان، وقيل إنه سعي به إلى جعفر وقيل له: لا يرى أيمان بيعتكم بشيء فإنه يأخذ بحديث ثابت بن الأحنف في طلاق المكره أنه لا يجوز ."

وقال الواقدي: "لما سؤد مالك وسمع منه وقيل قوله، حسده الناس وبغوا عليه، فلما ولي جعفر بن سليمان على المدينة سعوا به إليه، وأكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه شيئا، ويأخذ بحديث ثابت الأحنف في

طلاق المكره أنه لا يجوز، فغضب جعفر ودعا به، فاحتجّ عليه فيما رفع إليه، ثم جرّه ومدّه فضربه بالسياط، ومدت يده حتى انخلت كتفه...".

- ووجدت وخلعت كتفه بسبب فتواه في عدم وقوع طلاق المكره ولا علاقة لهذه الفتوى بعدم شرعية أو بشرعية مبايعة الخليفة العباسي، بل ظلما من الحاكم الذي حملها على المحمل السياسي وحكم على الامام بالنية في قوله أنه يقصد البيعة لا الطلاق تبعا للمبغضين والحساد والوشاة. وأفضل تفسير للقضية أنه جلد بسبب فتواه تلك في تلك الفترة والحاكم يخاف من اسقاطها على مسألة البيعة - بونوة.

03 شبهة ثالثة : التعقب على قول (شاخت) أن مالك أهمل نقد متون السنة وشكلها في موطنه.

نص الشبهة:

يقول جوزيف شاخت: "ولأنه كان يهتم فقط بتوثيق السنة، وليس انتقاد شكلها، فقد أهمل الترتيب في تعامله مع الأحاديث.. ومن ثم فإن الموطأ يمثل التحول من الفقه البسيط في العصر الأسبق إلى العلم الخالص للحديث في العصر الأخير."

الرد على الشبهة:

لم يكن الإمام مالك ممن يقصر اهتمامه على توثيق أسانيد الأحاديث التي يخرجها في كتابه، دون الالتفات إلى المتون وعللها، وهذه التهمة من لدن هؤلاء المستشرقين، تندرج ضمن شبهتهم المعروفة التي مفادها أن المحدثين اهتموا بنقد السند دون نقد المتن، وللدرد على هذه المزاعم نبين نظريا وتطبيقيا منهج الإمام مالك في توثيق متون السنة:

أولا: من الناحية النظرية. : لقد تكاثرت نقول العلماء عن الإمام مالك فيما يتعلق بتثبته في توثيق متن الحديث النبوي، واهتمامه بالمتن وما يدخل فيه من العلل والآفات، وهؤلاء هم أعلم بمنهج مالك في توثيق المتون من المستشرقين، وفي النقول التالية ما يبين ذلك :

روى ابن وهب عن مالك أنه قال: " أدركت بهذه البلدة أقواماً لو استسقى بهم القَطْر لسُقوا، قد سمعوا العلم والحديث كثيراً، ما حدّثت عن أحد منهم شيئاً؛ لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن -يعني الحديث والفتيا- يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غداً ".

وقال ابن أبي أويس: "سمعت مالكا يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله عنده هذه الأساطين، وأشار إلى المسجد، فما أخذت عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو انتمن على بيت مال لكان أميناً إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ".

وأثر عنه كذلك أنه قال: "أتيت زيد بن أسلم فسمعت حديث عمر: أنه حمل على فرس في سبيل الله، فاختلفت إليه أياماً أسأله عنه فيحدثني لعله يدخله فيه شك أو معنى فأترك؛ لأنه كان ممن شغله الزهد عن الحديث ".

فالإمام مالك بلغ به أمر توثيق متون السنة أنه كان يترك أحاديث رجال ثقافت، لا لشيء إلا أنه كان يخاف أن يدخل الخلل في متون تلك الأحاديث، بسبب غلبة الزهد والعبادة على أصحابها، وعدم بلوغهم في علم الحديث مرحلة الإتقان، ولو كان مالك يكتفي بنقد الأسانيد دون المتون، أو ما يسمى بالنقد الداخلي فقط لقبول حديث هؤلاء لصحة الإسناد إليهم، ولكنه تجاوز نقده الإسناد إلى المتن فترك حديثهم احتياطاً لكلام النبي أن يدخل فيه ما ليس منه.

ومن مظاهر اهتمامه كذلك بمتن الحديث النبوي، والاجتهاد في توثيقه، أنه كان لا يرى جواز رواية الحديث بالمعنى، والزيادة والنقصان فيه، ففي الكفاية للخطيب البغدادي: "قال أشهب: سألت مالكا عن الأحاديث يقدم فيها ويؤخر والمعنى واحد، فقال: أما ما كان منها من قول رسول الله فأنا أكره ذلك، وأكره أن يزداد فيها وينقص منها، وما كان من قول غير رسول الله، فلا أرى بذلك بأساً إذا كان المعنى واحداً... عن معن قال سألت مالكا عن معنى الحديث، فقال: أما حديث رسول الله فأدّه كما سمعته، وأما غير ذلك فلا بأس بالمعنى ".

وهذا الرأي من الإمام مالك يدل على شدة احتياطه في نسبة الكلام إلى النبي ، واهتمامه البالغ بتوثيق المتن خاليا من أي تغيير أو تعديل، ومن كان هذا حاله لا يقال عنه أنه اهتم بنقد السند دون المتن، فهذه تهمة لا دليل عليها، بل هذه النقول وغيرها تدل على بطلان التهمة من أساسها.

ثانيا: من الناحية التطبيقية. :

لقد أبان الإمام مالك في موطنه عن علو كعبه في الصنعة الحديثية، وجودة اختياره للأسانيد والمتون، كما أبان عن منهج نقدي واضح لشكل ومضمون الأحاديث التي تنسب للنبي ؛ فكان من أشد الناس احتياطا في نسبة الكلام إليه . ولقد شهد له بذلك صيارفة الحديث ونقاده، حتى قال القطان: "كان علم الناس في زيادة، وعلم مالك في نقصان، ولو عاش مالك لأسقط علمه كله - يعني تحريا ."

وقيل إن الموطأ كان فيه عشرة آلاف حديث فما زال يسقط منه حتى بلغ ما هو عليه الآن، ولو كان همُّ الإمام مالك الإكثار من الرواية فقط دون نقد وتمحيص لما وصل الموطأ إلى ما هو عليه الآن، قال عتيق الزبيري: "وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه كل سنة، ويسقط منه، حتى بقي هذا ولو بقي قليلا لأسقطه كله ."

وذكر ابن الهيثب: "أن مالكا روى مائة ألف حديث، جمع منها الموطأ عشرة آلاف، ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة، ويختبرها بالآثار والأخبار حتى رجعت إلى خمسمائة. وقال الكيا الهراسي : موطأ مالك كان تسعة مائة حديث، ثم لم يزل ينتقي حتى رجع إلى سبعمائة ."

ولقد ذكر العلماء رحمهم الله أن مالكا كان من أشد الناس احتياطا في السماع والتحديث، حتى إنه ترك كثيرا من الأحاديث خشية الوقوع في الخطأ والاستشكال ، ولم تكن همته - كما هو الحال عند المتأخرين من المحدثين- هي كثرة الجمع والتحديث بالغرائب، بل كان -رحمه الله - ينتقي ولا يخرج للناس إلا العلم الذي عليه العمل الخالص من الشوايب، وشهادات أهل العلم على ذلك كثيرة، قال ابن أبي حاتم: "قلت لابن معين: مالك قلَّ حديثه. فقال: بكثرة تمييزه ."

وقال ابن وهب: "قال مالك: سمعت من ابن شهاب أحاديث كثيرة ما حدثت بها قط، ولا أحدث بها. فقال الفروي: فقلت له: لم؟ قال: ليس عليها العمل."

وقال القطان: "لما مات مالك - رحمه الله- أخرجت كتبه أصيب فيها فنداق عن ابن عمر ليس في الموطأ منه شيء إلا حديثين ."

و من جهة أخرى فإن ما زعمه المستشرقون من إهمال الإمام مالك توثيق المتن ونقدها يكذبها الواقع العملي، ففي الموطأ نماذج من العمل النقدي لهذه المتن نذكر منها اثنان:

النموذج الأول: جاء في الموطأ في كتاب البيوع/ باب: بيع الخيار. برقم: 1958.

"حدثني يحيى، عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله قال: « المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار ». قال مالك: وليس لهذا عندنا حد معروف، ولا أمر معمول به فيه ."

النموذج الثاني: جاء في الموطأ في كتاب القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن. برقم: 491.

حدثني يحيى، عن مالك، عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة قرأ لهم في [الانشقاق: ١]، فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله سجد فيها... ثم ذكر آثارا عن الصحابة في ذلك إلى أن قال مالك: الأمر عندنا أن عزائم سجود القرآن إحدى عشرة سجدة، ليس في المفصل منها شيء .

فلقد صحح الإمام مالك هذين الحديثين بأن أوردهما في موطنه، ثم تعقبهما بأن عمل أهل المدينة خلاف ذلك، وهذا يندرج ضمن نقد المتون بعرضها على عمل أهل المدينة الذي يُعدُّ عند المالكية سنة متواترة، فلقد توقف الإمام مالك في العمل بهذين الحديثين لمعارضتهما السنة العملية عنده، وهذا يندرج ضمن عرض السنة على السنة للتبيين من حالها، ولو كان الإمام مالك ممن غايته توثيق السند دون المتن لما تعقب متن هذين الحديثين.

وأما خارج الموطأ فلقد نُقل عن الإمام مالك الشيء الكثير من الصنعة النقدية لمتون الأحاديث وفق الضوابط التي كان يعتبر بها، من ذلك تقديم القطعي على الظني، وعرض الأخبار على عمل أهل المدينة، وعرض السنة على السنة الأخرى للتأكد من صحتها وغيرها... ولقد وصف لنا الشاطبي - الذي هو من أعلم الناس بأصول مالك- جانباً من هذا النقد حيث قال:

"ولقد اعتمده [يقصد منهج معارضة القطعي بالظني] مالك بن أنس في مواضع كثيرة لصحته في الاعتبار، ألا ترى إلى قوله في حديث غسل الإناء من ولوغ الكلب سبغاً: جاء الحديث ولا أدري ما حقيقته؟، وكان يضعفه ويقول: يؤكل صيده؛ فكيف نكره لعبابه؟. وإلى هذا المعنى أيضاً يرجع قوله في حديث خيار المجلس بعد ذكره: وليس لهذا عندنا حد معروف، ولا أمر معمول به، فيه إشارة إلى أن المجلس مجهول المدة، ولو شرط أحد الخيار مدة مجهولة لبطل إجماعاً؛ فكيف يثبت بالشرع حكم لا يجوز شرطاً بالشرع؟ فقد رجع إلى أصل إجماعي وأيضاً؛ فإن قاعدة الغر والجهالة قطعية، وهي تعارض هذا الحديث الظني... ومن ذلك أن مالكا أهمل اعتبار حديث: «من مات وعليه صوم؛ صام عنه ولية»، وقوله: «أرأيت لو كان على أبيك دين؟» الحديث؛ لمنافاته للأصل القرآني الكلي، نحو قوله *أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى* (38) *وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* (39) [النجم: 38 - 39]، كما اعتبرته عائشة في حديث ابن عمر.

وأنكر مالك حديث: إكفاء القدور التي طبخت من الإبل والغنم قبل القسم، تعويلاً على أصل رفع الحرج الذي يعبر عنه بالمصالح المرسله؛ فأجاز أكل الطعام قبل القسم لمن احتاج إليه، قاله ابن العربي. ونهى عن صيام ست من شوال مع ثبوت الحديث فيه؛ تعويلاً على أصل سد الذرائع. ولم يعتبر في الرضاع خمساً ولا عشراً؛ للأصل القرآني في قوله: *حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا* (23) [النساء: 23]، وفي مذهبه من هذا كثير".

04 شبهة رابعة : التعقب على (شاخت) في تشكيكه لنسبة بعض المصنفات إلى الإمام مالك.

نص الشبهة:

يقول شاخت: "أما ما يتعلق بما إذا كان مالك قد وضع أعمالاً أخرى غير الموطأ فهذا موضع شك. (وما جاء في الفهرست عن عدد من الأعمال الأخرى التي كتبها مالك غامض وغير مؤكد) والكتب التي نسبت إليه تنقسم إلى مجموعتين: ما يتعلق بالشرع، وما يتعلق بغير ذلك. ومن بين الكتب التي تتعلق بالشرع نقرأ عن كتاب: "السنن" أو السنة الذي نقله ابن وهب أو عبد الله بن عبد الحكم المصري. وكتاب "المناسك" (السيوطي)، وكتاب "المجالسات" الذي نقله ابن وهب. ثم رسالة في "الأقضية" نقلها عبد الله بن عبد الجليل، و"رسالة في الفتوى" ونقلها خالد بن نزار، ومحمد بن مطرف. ومع ذلك فإن أصالة هذه الأعمال جميعاً ليست مؤكدة، حتى إذا كانت ترجع إلى تلاميذه المباشرين (وهي تعزى في بعض الأحيان إلى هؤلاء التلاميذ) وتظل مساهمة مالك فيها غير مؤكدة، وهناك عمل يقال إن عبد الله بن عبد الحكم المصري قد نقله وسمعه من مالك، وهذا العمل أيضاً موضع شك بكل تأكيد بل إنه علاوة على ذلك فإنه لا يدعي أن يقدم أقولاً للإمام مالك نفسه.

ومن الكتب الأخرى نذكر كتاب "التفسير" ورسالة في القدر والرد على القدرية"، وكتاب "السر" (السيوطي) وكلها تدخل ضمن النمط المعتاد للكتابات موضع الشك. كما أن الشك يقوى أيضاً فيما يتعلق برسالة" تتضمن نصائح

للخليفة الرشيد" وتذكر دائما مع الموطأ وهي بمثابة النظرير المالكي لكتاب الخراج لأبي يوسف... ونشير هنا إلى أن السيوطي نفسه يشك في أصالتها، بالرغم من الأسباب التي يوردها غير مقنعة لنا ."

الرد على الشبهة:

إن التشكيك في نسبة كثير من المصنفات للإمام مالك من لدن هذا المستشرق، يندرج ضمن المنهج العام للمستشرقين في التعامل من التراث الإسلامي وهو " التشكيك اللامنهجي" بغرض التشويه وبعث الارتياب في نفس القارئ دون الاتكاء على دليل واضح أو قاعدة متينة، وكثير ما يكون هذا الشك نابع عن سوء فهم، سببه العجمة والبعد عن اللسان العربي ودلالاته، وقلة المعرفة بمناهج علماء المسلمين في توثيق النصوص ونسبة الأقوال

والمؤلفات إلى أصحابها، فمن المعلوم أن الكتب في العصور الأولى للحضارة الإسلامية تروى بالأسانيد إلى أصحابها، فكان الشيخ يملي كتابه على طلبته ثم تتناقله الأجيال بالسماع المتصل وهذا أمر كاف لإثبات صحة نسبة الكتاب لمؤلفه، وهذا المنهج العلمي الدقيق في تحمل الكتب والمصنفات انفراد به المسلمون عن سائر أهل الملل، وهو يدل عناية فائقة للمسلمين في توثيق الأقوال ونسبتها إلى أصحابها، ولو أننا طالبنا المستشرق (شاخت) بإثبات صحة نسبة أي كتاب من كتب اليهود أو النصارى إلى أصحابها بالسند المتصل لما استطاع إلى ذلك سبيلا، بل إن أعظم الكتب عندهم وهي التوراة والإنجيل، ليس لها أسانيد متصلة وصحيحة، ومن ثم نشأ عند الغربيين ما يسمى بعقدة الإسناد، فأصبحوا يشككون في منهجية المحدثين في التلقي بنظريات فلسفية ومنطقية، ولو أننا اتبعنا نفس المنهج في النقد، فيستطيع الواحد منا أن يشك في أي كتاب منسوب لأحد مشاهيرهم، ولن يجدوا سبيل إلى دفع هذا التشكيك.

... ثم إن علماء المسلمين المعتنون بتحقيق النصوص ونشرها اتبعوا منهجا دقيقا للتأكد من نسبة الكتب لأصحابها، يتلخص في ثلاث نقاط :

1- رواية الكتاب والإجازة به بسند صحيح إلى مؤلفه.

2- تنصيب العلماء الذين ترجموا للمؤلف على صحة نسبة الكتاب له.

3- نقل العلماء القريبون من عصر المؤلف نصوصا من هذه الكتب مصرحين بنسبتها له .

وللرد على تشكيكات المستشرق شاخت حول نسبت بعض المصنفات للإمام مالك، نتبع الطرق العلمية في النقد والتحليل للخروج بنتيجة حول توثيق هذه الكتب.

أولا: كتاب التفسير. وهو جزء لطيف فيه تفسير للآيات بالإسناد على طريقة الموطأ وفيه أقوال مالك في بعض الآيات، وهو إما أن يكون من تأليف الإمام مالك أو من جمع بعض تلامذته لأقواله في التفسير وهذا الأخير هو الراجح. وعلى كل حال فمضمون الكتاب بلا شك هو من عمل الإمام مالك لا من عمل غيره وليس لتلاميذه فيه إلا الجمع، وإثبات نسبة الكتاب للمؤلف نسلك ثلاثة طرق:

1- لقد جزم كثير من العلماء المتقدمون والمتأخرون الذين ترجموا للإمام مالك بنسبة هذا الكتاب له، منهم النديم (380هـ) في الفهرست ، والقاضي عياض (544هـ) والسيوطي (911هـ) والداودي (945هـ) . وهؤلاء مع تقدم عصرهم هم أعلم من المستشرقين بأحوال مالك وتأليفه، وقولهم أقرب إلى الحقيقة العلمية من قول غيرهم قال الداودي: "وهو أول من صنّف «تفسير القرآن» بالإسناد على طريقة «الموطأ»، تبعه الأئمة، فقلّ حافظ إلا وله تفسير مسند، وله غير الموطأ كتاب «المناسك» و «التفسير المسند» لطيف، فيحتمل أن يكون من تأليفه، وأن يكون علق عنه ."

2- لقد أثبتت فهارس الأجزاء المروية عند العلماء المتأخرين سماع وإجازة هذا الجزء في التفسير بالسند المتصل إلى مؤلفه، وهذا توثيق قوي لنسبة الكتاب للإمام مالك، فذكره ابن حجر ضمن إجازاته " جزء فيه التفسير المروي عن مالك جمع أبي بكر الجعابي". ثم ذكر الإسناد إليه . وذكره كذلك العراقي في إجازاته.

3- لقد وقف بعض أهل العلم على هذا الجزء و نقلوا منه نصوصاً مُصرِّحين بنسبة الكتاب إلى مالك، وممن نقل ذلك ابن كثير في تفسيره ، والسيوطي في الدر المنثور . وأخبر ابن العربي المالكي أنه رأى هذا الجزء من التفسير في دمشق ونقل منه في كتابه "القبس شرح موطأ مالك بن أنس ."

وذكر القاضي عياض أن للإمام ما لم كتاب آخر هو " تفسير غريب القرآن " من رواية خالد المخزومي عنه، وساق عياض إسناده لهذا المؤلف . وهو بلا شك غير الأول .

كتاب الرد على القدرية :

هو من أشهر كتب مالك، يقول القاضي عياض: "فمن أشهرها رسالته إلى ابن وهب في القدر والرد على القدرية، وهو من خيار الكتب في هذا الباب الدالة على سعة علمه بهذا الشأن - رحمه الله- وقد حدثنا بها غير واحد من شيوخنا بأسانيدهم المتصلة إلى مالك رحمه الله تعالى [ثم ذكر الأسانيد إلى أن قال]. وهذا سند صحيح مشهور الرجال وكلهم ثقات

"وقال الذهبي: "ولمالك - رحمه الله- رسالة في القدر، كتبها إلى ابن وهب، وإسناده صحيح ."

رسالة في الأفضية :

كتبها إلى بعض القضاة، قال قاضي عياض: "ومن ذلك رسالة مالك في الأفضية كتب بها إلى بعض القضاة، عشرة أجزاء أخبرنا بها الفقيه أبو إسحاق بن جعفر عن ابن سهل، عن حاتم بن محمد، عن ابن دنير، عن أبي جعفر بن رحمون، عن سعيد بن شعبان، عن محمد بن يوسف بن مطروح، عن عبد الله بن عبد الجليل مؤدب مالك بن أنس ."

وقال الذهبي: "ورسالة في الأفضية، مجلد، رواية محمد بن يوسف بن مطروح، عن عبد الله بن عبد الجليل ."

رسالة في الفتوى:

قال القاضي عياض: " ومن ذلك رسالته إلى أبي غسان محمد بن مطرف في الفتوى، وهي مشهورة يرويها عنه خالد بن نزار، ومحمد بن مطرف، وهو من كبار أهل المدينة قريناً لمالك يروي عن أبي حازم وزيد بن أسلم وروى عنه الثقات ووثقوه. وقد نقل أبو إسحاق بن شعبان أقوال مالك في هذه الرسالة منها في كتابه". وممن نسبها إليه كذلك الذهبي والسيوطي .

رسالة في معرفة النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر: قال القاضي عياض: "ومنها كتاب في النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر، وهو كتاب جيد مفيد جداً، قد اعتمد الناس عليه في هذا الباب وجعلوه أصلاً، وعليه اعتمد أبو محمد عبد الله بن مسرور الفقيه القروي في تأليفه في هذا الباب، وصدر بفصوله، وقد أدخل جميعها صاحب كتاب (أقوال مالك) أبو عبد الله المعيطي، وأبو عمر بن المكوي في جامع كتابهما الكبير . " وهو مما انفرد بروايته (عن مالك) عبد الله ابن نافع الصانع، ثم ذكر أسانيد الكتاب وقال: "وهذا أيضاً سند صحيح رواه كلهم ثقات ."

وقال الذهبي: "وله مؤلف: في النجوم ومنازل القمر، رواه سحنون، عن ابن نافع الصانع، عنه، مشهور ."

ومما يدل على تثبت علماء المسلمين في نسبة الكتب للمشاهير بما فيهم الإمام مالك، ونقدهم وغربتهم للأخبار أنهم اعترضوا على نسبة بعض الكتب لمالك، بالرغم أن بعض من ترجم له ذكر أن هذه الكتب من مصنفته، وكان اعتراضهم بحجة ودليل وفق منهج علمي دقيق، هو أقرب للحقيقة العلمية من النظريات السوفسطائية والشك الغير مبرر الذي يعتمده المستشرقون نذكر من ذلك كتابين:

وهو كتاب يشتمل على غرائب المسائل ونوادرها، وفيها كثير مما يتعلق بالخلفاء، يقال أنه أرسله للخليفة الرشيد، ولهذا سمي (السر) نُسِبَ إلى الإمام مالك من رواية ابن القاسم عنه.

قال ابن حجر: "وكتاب: السر، وقفت عليه في كراسة لطيفة من رواية الحارث بن مسكين عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك، وهو يشتمل على نوادر من المسائل وفيها كثير مما يتعلق بالخلفاء ولأجل هذا سمي كتاب السر، وفيه هذه المسألة، وقد رواه أحمد بن أسامة التجيبي وهذبه ورتبه على الأبواب، وأخرج له أشباها ونظائر في كل باب". ولقد طعن كثير من علماء المالكية في صحة نسبة هذا لمالك، وذكروا أنه يحتوي على أقوال وآراء يستحيل أن تكون من قوله، فذكروا من ذلك أن فيه طعن على الصحابة خاصة عثمان بن عفان، وأن فيه تجويز لإتيان المرأة من دبرها، وهذا يتعارض مع الأصل المحكم عند مالك في تعديل الصحابة والثناء عليهم، وترك الأخذ بالشاذ من المسائل، يقول الحطّاب في مواهب الجليل: "أما كتاب السر فمنكر، قال ابن فرحون: وقفت عليه فيه من الغض من الصحابة والقدح في دينهم خصوصاً عثمان -رضي الله تعالى عنه- ومن الحطّ على العلماء والقدح فيهم، ونسبتهم إلى قلة الدين مع إجماع أهل العلم على فضلهم -خصوصاً أشهب- ما لا أستبيح ذكره، وورع مالك ودينه ينافي ما اشتمل عليه كتاب السر، وهو جزء لطيف نحو ثلاثين ورقة." قال القرطبي: "وحكي ذلك عن مالك في كتاب له يسمى (كتاب السر). وحدّاق أصحاب مالك ومشايخهم ينكرون ذلك الكتاب، ومالك أجّل من أن يكون له (كتاب سر)".

وممن أنكر نسبة هذا الكتاب للإمام مالك: الخليفي في كتابه الإرشاد، وأبو بكر الأبهري كما في الجواهر الثمينة، وأبو العباس القرطبي في المفهم شرح مسلم، وابن كثير في تفسيره، والقرافي في الذخيرة .

ثانياً: رسالة إلى هارون الرشيد في الآداب.

وهي رسالة لطيفة فيها نصحٌ وتذكيرٌ ببعض الآداب أرسلها مالك للخليفة هارون الرشيد، ولقد أنكرها أصحاب مالك بسبب ضعف إسنادها، ونكارة ما جاء فيها، وغرابة أحاديثها. قال القاضي عياض: "ومن ذلك رسالته إلى هارون الرشيد المشهورة في الآداب والمواعظ، حدّث بها بالأندلس أولاً ابن حبيب عن رجاله عن مالك... ولا شك في سقوط رجل محدث منه، وقد أنكرها بعض مشايخنا: إسماعيل القاضي، والأبهري، وأبو محمد بن أبي زيد، وقالوا: إنها لا تصح وإن طريقها لمالك ضعيف وفيها أحاديث لا نعرفها. قال الأبهري فيها أحاديث منكراً تخالف أصوله، قالوا وأشياء فيها لا تعرف من مذهب مالك ورأيه، وقد أنكرها أصبغ بن الفرّج أيضاً، وحلف ما هي من وضع مالك." وقال الذهبي في السير: "ورسالة آداب إلى الرشيد، إسنادها منقطع، قد أنكرها إسماعيل القاضي وغيره، وفيها أحاديث لا تعرف، قلت: هذه الرسالة موضوعة، وقال القاضي الأبهري: فيها أحاديث لو سمع مالك من يحدث بها، لأدّبه."

ونخلص من هذا كله أن علماء المسلمين كانت لهم منهجية علمية دقيقة في نسبة الكتب والمؤلفات للمشاهير، وأن الروح النقدية لم تكن غائبة في التعامل مع الأخبار في ذلك، وأنهم حازوا قصب السبق في التشكيك العلمي لنسبة بعض المؤلفات للإمام مالك، وأما تشكيك المستشرقين فهو مبني على التهويل قصد إسقاط الثقة وإثارة الريب في تراث الإمام مالك.(((انتهى البحث

- قصة شبهة زواج والد الإمام مالك من امرأة قبيحة - أم الإمام مالك - والرد عليها .
ما صحة قصة زواج والد الإمام مالك من امرأة قبيحة ؟ هذا سؤال وجوابه .

الموضوع بتاريخ : 2012-10-08 الساعة : PM07:26

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بارك الله فيكم ما صحة هذه القصة ؟ وجزيتم خيرا .

نص القصة : وضع أحلامه - أي والد الإمام مالك - في امرأة شقراء بيضاء تسر الناظرين ! ولكن عندما تزوجها وكشف عن وجهها وجدها ليست جميلة ! فهجرها في ليلة الزفاف واستمر الهجران فلما استشعرت زوجته ذلك.

ذهبت إليه وقالت يا أنس {لعل الخير يكمن في الشر} وأتم زواجه ولكن في قلبه ذلك الشعور بعدم الرضا عن شكلها. فهجرها مره ثانية ! ولكن هذه المرة هجرها عشرين سنة ولم يرَ إن كانت زوجته حملت منه. وبعد عشرين عاماً رجع إلى المدينة حيث يوجد بيته ، وأراد أن يصلي فسمع إماما يلقي درسا فجلس وسمع حديثه فأعجب به وانبهر منه فسأل عن اسمه فقالوا: هو الإمام مالك فقال : ابن من هو ؟ فقالوا ابن رجل هجر المدينة من عشرين عاما اسمه

أنس فذهب إليه أنس وقال له سوف أذهب إلى منزلك وسأقف على الباب وقل لأمك رجل أمام البيت يقول {لعل الخير يكمن في الشر}. فلما ذهب وقال لأمه قالت أسرع وافتح الباب إنه والدك أتى بعد غياب لم تذكر أباه طول فترة غيابه بالسوء فكان اللقاء حارا وكان ابنه هو مالك بن أنس رضي الله عنه خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وراوي أحاديث الرسول الصحيحة وكان يفخر بذلك.

شكرا لك يا أم مالك على الدرس الجميل (لعل الخير يكمن في الشر).

الجواب:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وجزاك الله خيرا ، وبارك الله فيك .

: لا تُعرف هذه القصة عن والد الإمام مالك بن أنس رحمه الله .

والإمام مالك ، هو : مالكُ بنُ أنسِ بنِ مالكِ بنِ أبي عامرِ الأصبحي . وليس له علاقة بالصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأنس بن مالك رضي الله عنه هو خادم النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام الذهبي عن الإمام مالك : مَوْلِدُ مَالِكٍ عَلَى الْأَصَحِّ : فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، عَامَ مَوْتِ أَنْسِ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَشَأَ فِي صَوْنٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَتَجَمَّلَ .

ثم إن الإمام مالك لم يجلس للفتيا والتدريس إلا بعد أن تجاوز العشرين من عمره.

قال الإمام الذهبي : وَطَلَبَ مَالِكُ الْعِلْمَ وَهُوَ ابْنُ بِيضَعِ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَتَأَهَّلَ لِلْفُتْيَا ، وَجَلَسَ لِلإِفَادَةِ ، وَلَهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً . اهـ .

وتشتهر مثل هذه القصة عن والد ربيعة الرأي ، وهو فروخ . قال الإمام الذهبي : ذِكْرُ حِكَايَةِ بَاطِلَةٍ قَدْ رُوِيَتْ : ثُمَّ رَوَى بِإِسْنَادِهِ إِلَى مَشِيخَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ :

أَنَّ فَرُوحَ وَالِدَ رَبِيعَةَ ، خَرَجَ فِي الْبُعُوثِ إِلَى خُرَاسَانَ ، أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةَ عَازِيًا ، وَرَبِيعَةُ حِمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَخَلَّفَ عِنْدَ زَوْجَتِهِ أُمَّ رَبِيعَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَهُوَ رَاكِبٌ فَرَسٍ ، فِي يَدِهِ رُمْحٌ ، فَنَزَلَ عِنْدَ فَرَسِهِ ، ثُمَّ دَفَعَ الْبَابَ بِرُمُوحِهِ ، فَخَرَجَ رَبِيعَةُ ، فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! أَتَهْجُمُ عَلَيَّ مَنْزِلِي ؟ فَقَالَ : لَا .

وَقَالَ فَرُوحٌ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! أَنْتَ رَجُلٌ نَخَلْتَ عَلَيَّ حُرْمَتِي . فَتَوَاتَبَا ، وَتَلَبَّثَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ، حَتَّى اجْتَمَعَ الْجِيرَانُ . فَبَلَغَ مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ وَالْمَشِيخَةَ ، فَأَتَوْا يُعِينُونَ رَبِيعَةَ ، فَجَعَلَ رَبِيعَةُ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا فَارِقَتَكَ إِلَّا عِنْدَ السُّلْطَانِ . وَجَعَلَ فَرُوحٌ يَقُولُ كَذَلِكَ ، وَيَقُولُ : وَأَنْتَ مَعَ امْرَأَتِي . وَكَثُرَ الضَّجِيحُ ، فَلَمَّا أَبْصَرُوا بِمَالِكٍ ، سَكَتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ .

فَقَالَ مَالِكٌ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ! لَكَ سَعَةٌ فِي غَيْرِ هَذِهِ الدَّارِ . فَقَالَ الشَّيْخُ : هِيَ دَارِي ، وَأَنَا فَرُوحٌ مَوْلَى بَنِي فُلَانٍ . فَسَمِعَتْ امْرَأَتُهُ كَلَامَهُ ، فَخَرَجَتْ ، فَقَالَتْ : هَذَا زَوْجِي ، وَهَذَا ابْنِي الَّذِي خَلَفْتَهُ وَأَنَا حَامِلَةٌ بِهِ . فَاعْتَقَا جَمِيعًا ، وَبَكِيَا . فَدَخَلَ فَرُوحٌ الْمَنْزِلَ ، وَقَالَ : هَذَا ابْنِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَخْرَجِي الْمَالَ الَّذِي عِنْدَكَ ، وَهَذِهِ مَعِيَ أَرْبَعَةُ أَلْفِ دِينَارٍ . قَالَتْ : الْمَالَ قَدْ دَفَنْتُهُ ، وَأَنَا أُخْرِجُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ . فَخَرَجَ رَبِيعَةُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَجَلَسَ فِي خَلْفَتِهِ ، وَأَتَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ ، وَالْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ ، وَابْنُ أَبِي عَلِيٍّ اللَّهْبِيُّ ، وَالْمَسَاحِقِيُّ ، وَأَشْرَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَأَحَدَقَ النَّاسُ بِهِ .

فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : أَخْرُجْ صَلِّ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَخَرَجَ ، فَصَلَّى ، فَنَظَرَ إِلَى حَلْقَةِ وَافِرَةٍ ، فَأَتَاهُ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ ، فَفَرَّجُوا لَهُ قَلْبًا ، وَنَكَسَ رَبِيعَةُ رَأْسَهُ يُؤْهِمُهُ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ ، وَعَلَيْهِ طَوِيلَةٌ ، فَشَكَ فِيهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الرَّجُلُ ؟ قَالُوا لَهُ : هَذَا رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ . فَقَالَ : لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ ابْنِي . فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ لَوَالِدَتِهِ : لَقَدْ رَأَيْتُ وَلَدَكَ فِي حَالَةٍ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ عَلَيْهِ .

قَالَتْ أُمُّهُ : فَأَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، أَوْ هَذَا الَّذِي هُوَ فِيهِ مِنَ الْجَاهِ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، إِلَّا هَذَا . قَالَتْ : فَأَيُّ قَدْ أَنْفَقْتُ الْمَالَ كُلَّهُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَوَ اللَّهُ مَا ضَيَعْتَهُ . قُلْتُ : لَوْ صَحَّ ذَلِكَ ، لَكَانَ يَكْفِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فِي السَّبْعِ وَالْعِشْرِينَ سَنَةً ، بَلْ نِصْفُهَا ، فَهَذِهِ مُجَازَفَةٌ بَعِيدَةٌ . ثُمَّ لَمَّا كَانَ رَبِيعَةُ ابْنَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، كَانَ شَابًا لَا حَلْقَةَ لَهُ ، بَلِ الدَّسْتُ لِمِثْلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَعُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ ، وَمَشَاحِخِ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ مَالِكٌ لَمْ يُؤَلَّدْ بَعْدُ ، أَوْ هُوَ رَضِيعٌ . اهـ . فهذه القصة على شهرتها يقول عنها الإمام الذهبي : حكاية باطلة . والله تعالى أعلم .

المجيب الشيخ/عبد الرحمن بن عبد الله السحيم عضو مكتب الدعوة والإرشاد منتدى الإرشاد للفتيا الشرعية
وقال الشيخ النميري مجيبا على نفس السؤال في حصة سؤال وجواب على اليوتيوب : القصة لا تصح تماما

... وقد ثبت لنا أن والد الإمام مالك - رحمه الله تعالى - ، قد أشرف على تربيته، وأنه لم يترك أسرته ولم يتخلَّ عنها لأسباب عنصرية "سوادها" كما أشار واضع الرواية أو لغيرها، كما أن أمه معروفة النسب و الرواية الأرجح تثبت أنها أزدية يمنية . ولم تكن عبدة قط . فأبوه وأمّه عربيان يمنيان وأنهما كانا يحبانه ويدلانه فيدعوانه مويلكا ، ولم يعرف عنهما سفرا طويلا ولا عجمة ولا عبودية .

... ولا ننس أن من كبار الصحابة والتابعين والملوك والأدباء رجالاً عربياً صرحاء سود البشرة أو نوابغ من الأفارقة السود أو أن أمهاتهم كنَّ إفريقيات . منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وكان آدم شديد الأدمة - أي شديد السمار - كنبى الله موسى - عليه السلام - ، ومن نسله - أي علي - محمد النفس الزكية "قاري بني هاشم" أي أسودهم ولقبه "صريح قريش" أي أنقاهم نسباً، وكذلك الإمام موسى الكاظم، وكذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في قتامة بشرته وسماره الشديد، وهناك بلال بن رباح مؤذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أمرؤ فيه زوجة وأمّه التي أطلق عليها "حمامة"، وجده - خال أمه - أبرهة بن الصباح الأشرم؟؟، كما كان سعد بن أبي وقاص خال رسول الله صلى الله عليه وسلم - آدم البشرة، شأن الصحابي عبادة بن الصامت الأنصاري الذي هابه ملك مصر "المقوقس" لشدة سواده، وكذلك كان أول ملوك كندة الفحطانية حُجر بن عمرو "أكل المرار"، وبنو شنوءة غامد والزهران وغير ذلك مما يعز عن الحصر. يقول المبرد: "العرب كانت تفتخر بالسمررة و السواد و كانت تكره الحمرة و الشقرة و تقول انها من ألوان العجم".؟؟

... وفي الصحاحين من حديث ابن عباس : ((أنَّ موسى كان آدم البشرة) . وفيهما من حديث أبي هريرة : ((كأنه من رجال شنوءة) . وفي البخاري من حديث ابن عمر: ((كأنه من رجال الزُّط) . قال الشَّرَّاح: الأدمة: شدة السُّمرة، والزُّط: جنس من السودان . عن موقع somali future

هيبة الإمام مالك:

قال سعيد بن أبي مريم: "ما رأيت أشد هيبة من مالك، لقد كانت هيبتة أشد من هيبة السلطان". وقال الشافعي: "ما هبت أحداً قط هيبة مالك بن أنس حين نظرت إليه". وكان من شدة خوفه من الله وورعه ان ظهرت عليه الهيبة والوقار وهابه الناس حتى قال احدهم عرفت الهادي والمهدي والرشيدي فما هبتهم كما هبت مالكا.

يدع الجواب فلا يراجع هيبة

والسائلون نواكس الأدقان

أدب الوقار وعزُّ سلطان التقى

فهو المطاع وليس ذا سلطان!

بعض سماته ومميزاته رحمه الله :

السمة الأولى: رسوخه في العلم :

كان كبار العلماء يتفاخرون أنهم رويوا عن مالك ، فق قال الشافعي : قال محمد بن الحسن: أقمت عند مالك ثلاث سنين وكسرا، وسمعت من لفظه أكثر من سبعمائة حديث، فكان محمد إذا حدث عن مالك امتلأ منزله، وإذا حدث عن غيره من الكوفيين، لم يجنه إلا اليسير.

السمة الثانية: مشورته لأهل العلم قبل التعليم :

يلحظ أنه رحمه الله يستشير أشياخه قبل تصدرة للفتوى، فقد قال مالك : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أي أهل لذلك . وعندما ألف أول مصنف في السنة ، عرضه على علماء المدينة، فوافقوه عليه، فساماه الموطأ، لتواطى علماء المدينة على ما فيه.

السمة الثالثة: تعبه لله تعالى بما تميل له نفسه :

عن عبدالله العمري العابد أحد علماء المدينة المشهورين كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل . فكتب إليه مالك : إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد . فنشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

وهذا يوضح سعة مفهوم العبادة ، وأما العبادات الظاهرة فقد كانت – بمفهوم ذلك الزمن – ليست ظاهرة للناس ، فقد قال ابن المبارك:

ما رأيت أحدا ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة .

وهذا لا يعني أنه ليس له من عبادات النوافل نصيب ألبتة ، فقد قال ابن وهب: قيل لأخت مالك : ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت : المصحف ، التلاوة .

السمة الرابعة: إعزازه للعلم

يلحظ أن في سيرة الإمام مالك – رحمه الله – عدة مواقف تدل على صيانه للعلم من الابتذال من الكبار والأمراء، وقد كان يربي طلابه على ذلك ، فقد قال ابن وهب : ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه.

ومن أشهر المواقف في ذلك موقفه مع الخليفة العباسي المهدي، فقد قدم المهدي المدينة ، فبعث إلى مالك ، فاتاه، فقال لهارون وموسى : اسمعنا منه فبعث إليه ، فلم يجبهما ، فأعلما المهدي ، فكلمه فقال : يا أمير المؤمنين ! العلم يؤتى أهله . فقال : صدق مالك ، صيرا إليه . فلما صاروا إليه ، قال له مؤدبهما : اقرأ علينا . فقال : إن أهل المدينة يقرءون على العالم ، كما يقرأ الصبيان على المعلم ، فإذا أخطنوا، أفتاهم . فرجعوا إلى المهدي، فبعث إلى مالك، فكلمه ، فقال : سمعت ابن شهاب يقول : جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال، وهم يا أمير المؤمنين : سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة ، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، ونافع، وعبد الرحمن بن هرمز، ومن بعدهم : أبو الزناد ، وربيعة ، ويحيى بن سعيد ، وابن شهاب ، كل هؤلاء يقرأ عليهم ، ولا يقرءون . فقال : في هؤلاء قدوة ، صيروا إليه ، فافروا عليه ، ففعلوا.

ومن ذلك أن هارون الرشيد سأل مالكا - وهو في منزله ، ومعه بنوه- أن يقرأ عليهم . قال: ما قرأت على أحد منذ زمان ، وإنما يقرأ علي. فقال : أخرج الناس حتى أقرأ أنا عليك . فقال : إذا منع العام لبعض الخاص ، لم ينتفع الخاص . وأمر معن بن عيسى ، فقرأ عليه .

وورد عن مالك، أنه قال : قدم هارون يريد الحج ، ومعه يعقوب أبو يوسف ، فأتى مالك أمير المؤمنين، فقربه، وأكرمه ، فلما جلس ، أقبل إليه أبو يوسف، فسأله عن مسألة ، فلم يجبه ، ثم عاد، فسأله فلم يجبه، ثم عاد، فسأله، فقال هارون: يا أبا عبد الله! هذا قاضينا يعقوب يسألك . قال : فأقبل عليه مالك ، فقال : يا هذا ! إذا رأيتني جلست لأهل الباطل فتعال ، أجبك معهم .

وكان من تعظيمه للعلم أن يسلم على الخلفاء دون أن يذل نفسه ، فقد روى ابن وهب عن مالك ، قال : دخلت على المنصور، وكان يدخل عليه الهاشميون، فيقبلون يده ورجله، وعصمني الله من ذلك .
ومن مظاهر ذلك أنه ينتقي من الشيوخ من يحترم العلم، فقد نقل عن ابن القاسم، قال: قيل لمالك: لم تأخذ عن عمرو بن دينار؟ قال : أتيتته ، فوجدته يأخذون عنه قياماً ، فأجللت حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن آخذه قائماً .

وكان يحث طلابه على الانتقاء من الشيوخ، فعن مالك، قال : لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفية يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل ، إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

السمة الخامسة: تربيته طلابه على عدم الخوض فيما لا يحسنون

كان رحمه الله يكثر من قول لا أدري، وصح عنه أنه قال : جنة العالم : "لا أدري" ، فإذا أغفلها أصيبت مقاتله .
فعن خالد بن خدّاش، قال: قدمت على مالك بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس مسائل. وعن ابن وهب عن مالك ، سمع عبد الله بن يزيد بن هرمز يقول : ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول : "لا أدري" ، حتى يكون ذلك أصلاً يفزعون إليه .

ويظهر أن الامام له علم بما يسأل عنه ولكن في تفسير عدم إجابته وقوله لا أدري أحد ثلاثة أمور:

- 1- أنه يعلم في هذه المسائل الكثير، لكنه لم يترجح له فيها شيء،
- 2- وربما أنها من المسائل التقديرية التي لم تقع، وقد كان ينهي عن الفقه الافتراضي، وعن مسائل الأغلوطات.
- 3- أنه وجد غلوا من الطلبة بحيث يرحل له طالب من الأندلس لأجل سؤاله عن مسائل، فأراد أن يؤدب نفسه، ويربي هذا الطالب بقوله: لا أدري.

السمة السادسة: مراعاته للخلاف :

روى أحد طلابه عنه أنه قال: قال لي المهدي : ضع يا أبا عبد الله كتاباً أحمل الأمة عليه . فقلت: يا أمير المؤمنين، أما هذا الصقع - وأشرت إلى المغرب - فقد كفيته ، وأما الشام ، ففيهم من قد علمت - يعني: الأوزاعي- وأما العراق، فهم أهل العراق.

وحدث له قصة تدل على عظيم ورعه، ومراعاته لخلاف غيره من أهل العلم في الأمصار، فقد ذكر ابن سعد : حدثنا محمد بن عمر، سمعت مالكا يقول : لما حج المنصور، دعاني ، فدخلت عليه ، فحدثته ، وسألني ، فأجبتته ، فقال : عزمت أن أمر بكتبتك هذه- يعني الموطأ" - فتنسخ نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة ، وأمرهم أن يعملوا بما فيها، ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث ، فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم . قلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الناس قد سيقوا إليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سيق إليهم ، وعملوا به ، ودانوا به ، من اختلاف أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم ، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد ، فدع الناس وما هم عليه ، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم . فقال: لعمرى ، لو طاوعتني لأمرت بذلك .

وعن مالك قال : شاورني هارون الرشيد في ثلاثة : في أن يعلق "الموطأ" في الكعبة ، ويحمل الناس على ما فيه،

وفي أن ينقض منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويجعله من ذهب وفضة وجوهر، وفي أن يقدم نافعا إماما في مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم . فقلت : أما تعليق "الموطأ" ، فإن الصحابة اختلفوا في الفروع، وتفرقوا، وكل عند نفسه مصيب، وأما نقض المنبر، فلا أرى أن يحرم الناس أثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم وأما تقدمتك نافعا ، فإنه إما م في القراءة ، لا يؤمن أن تبدر منه بادرة في المحراب ، فتحفظ عليه .

فقال : وفقك الله يا أبا عبد الله ومن اهتمامه بمراعاة الخلاف، عدم اعتباره لكلام المخالفين له بالباطل، فقد قال مطرف بن عبد الله: قال لي مالك : ما يقول الناس في ؟ قلت : أما الصديق فيثني ، وأما العدو فيقع . فقال : ما زال الناس كذلك ، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها .

وقد كان ينهى طلابه ومحبيه عن التقليد ، ومن أقواله الشهيرة : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر- صلى الله عليه وسلم.-

السمة السابعة: صبره على الابتلاء وظلم الولاية

كان ابتلاؤه بسبب فتوى، فرح بها منافسوه فوشوا بها إلى أمير المدينة ، فقد قال الواقدي: لما دعي مالك، وشور، وسمع منه، وقبل قوله ، حسد ، و بغوه بكل شيء، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة ، سعوا به إليه ، وكثروا عليه عنده ، وقالوا : لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المكره: أنه لا يجوز عنده . قال : فغضب جعفر، فدعا بمالك ، فاحتج عليه بما رفع إليه عنه ، فأمر بتجريده ، وضربه بالسياط ، وجبذت يده حتى انخلت من كتفه ، وارتكب منه أمر عظيم ، فوالله ما زال مالك بعد في رفعة وعلو.

لما ضرب مالك ، حلق، وحمل على بعير، فقيل له : ناد على نفسك . فقال : ألا من عرفني ، فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فأنا مالك بن أنس ، أقول . طلاق المكره ليس بشيء . فبلغ ذلك جعفر بن سليمان الأمير، فقال: أدركوه، أنزلوه.

وقد نهى أبو جعفر مالكا عن رواية حديث: "ليس على مستكره طلاق". ثم دس إليه من يسأله، فحدثه به على رؤوس الناس، فضربه بالسياط.

قال الذهبي: هذا ثمرة المحنة المحمودة ، أنها ترفع العبد عند المؤمنين ، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا ، ويعفو الله عن كثير : "ومن يرد الله به خيرا يصيب منه". وقال النبي صلى الله عليه وسلم :- "كل قضاء المؤمن خير له" وقال الله - تعالى - : (وَلَنَبِّئَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) [محمد: 31] . وأنزل- تعالى- في وقعة أحد قوله: (أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) [آل عمران: 165] . وقال : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [الشورى: 30].

فالمؤمن إذا امتحن صبر واتعظ واستغفر، ولم يتشاغل بدم من انتقم منه ، فالله حكم مقسط ، ثم يحمد الله على سلامة دينه ، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له .

السمة الثامنة : عنايته بمقاصد الشريعة وجوهرها يلحظ في فقه الإمام مالك - رحمه الله- أنه يعظم نصوص الوحيين ، ويأخذ بالإجماع والقياس، ويقدر أقوال علماء مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أشد المذاهب في سد الذرائع وحسم مادة الحيل ، ومراعاة المقاصد . ولذا كان الإمام ابن تيمية - رحمه الله- يثني كثيرا على اختياراته في باب المعاملات لكونها مبنية على معقولية المعنى . وكثيرا ما يقدم المصلحة والقياس على الأثر خصوصا إذا كان أحادا . ولخص الشاطبي أصول المذهب المالكي في أربعة أصول : (الكتاب والسنة والاجماع والرأي) . وتشمل السنة عند مالك عمل أهل المدينة وقول الصحابي . والرأي : يشمل : المصالح المرسله وسد الذرائع ، والعادات أي العرف ، والاستحسان ، والاستصحاب . وكلها من وجوه الرأي .

كان ينهى عن الجدل في الدين، فقد قال ابن وهب، سمعت مالكا يقول : ليس هذا الجدل من الدين بشيء .
وقال أبو ثور سمعت الشافعي يقول : كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء ، قال : أما إني على بينة من ديني ، و أما أنت ، فشاك ، اذهب إلى شاك مثلك ، فخاصمه .

وروى جعفر بن عبد الله ، قال : كنا عند مالك فجاءه رجل، فقال : يا أبا عبد الله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه: 5]، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته ، فنظر إلى الأرض ، وجعل ينكت بعود في يده ، حتى علاه الرخضاء ، ثم رفع رأسه ، ورمى بالعود، وقال : كيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة. وأمر به فأخرج.

وانصرف مالك يوما ، فلحقه رجل يقال له : أبو الجويرية ، متهم بالإرجاء ، فقال : اسمع مني . قال : احذر أن أشهد عليك . قال : والله ما أريد إلا الحق، فإن كان صوابا ، فقل به، أو فتكلم قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعني. قال : فإن غلبتني؟ قال : اتبعتك. قال : فإن جاء رجل، فكلمنا، فغلبنا؟ قال : اتبعناه، فقال مالك : يا هذا ، إن الله بعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - بدين واحد، وأراك تنتقل.

وكان يرى تعزيز المبتدعة بترك الصلاة خلفهم ، فقد قال أصبغ : حدثنا ابن وهب عن مالك - وسئل عن الصلاة خلف أهل البدع القدرية وغيرهم فقال : لا أرى أن يصلى خلفهم . قيل : فالجمعة؟ قال : إن الجمعة فريضة ، وقد يذكر عن الرجل الشيء وليس هو عليه.

فقيل له : رأيت إن استيقنت ، أو بلغني من أثق به ، أليس لا أصلي الجمعة خلفه؟ قال : إن استيقنت. كأنه يقول : إن لم يستيقن ذلك، فهو في سعة من الصلاة خلفه.

عمله ومصدر رزقه :

لم تذكر كتب المناقب والأخبار موارد رزق الإمام مالك موضحةً مبيتهً، ولكن جاءت أخبارٌ منثورةٌ تكشف عن موارد رزقه، والراجح أن مالكا كان يعمل بالتجارة ومنها تجارة البز، فقد قال تلميذه ابن القاسم: «إنه كان لمالك أربعمئة دينار يتجر بها، فمنها كان قوام عيشه». كما كان الإمام مالك يقبل هدايا الخلفاء، ولا يعتريه شك في حل أخذها، وإن كان يتعفف عن الأخذ ممن دونهم، فقد سئل عن الأخذ من السلاطين فقال: «أما الخلفاء فلا شك، يعني أنه لا بأس به، وأما من دونهم فإن فيه شيئا»، ويروى أن الخليفة هارون الرشيد أجاره بثلاثة آلاف دينار، فقيل له: «يا أبا عبد الله، ثلاثة آلاف تأخذها من أمير المؤمنين!»، فقال: «لو كان إمام عدل فأنصف أهل المروعة لم أر به بأساً»، فهو كان يقبلها لأنها برأيه من إنصاف أهل المروعة.

سعة علم الإمام مالك:

لم يرحل مالك رحمه الله في طلب العلم أو غيره كما رحل العلماء مثل شعبة وسفيان الثوري ويحيى القطان وغيرهم .
روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة ، عن النبي أنه قال: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة". ثم قال: هذا حديث حسن. وفي رواية : (يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم) أخرجه الإمام أحمد 299/2 . والترمذي وحسنه ح 2680 وابن حبان في صحيحه 20/6. والبيهقي في السنن الكبرى 386/1. والحاكم 91/1 وصححه ووافقه الذهبي . قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لمسند الإمام أحمد :
إسناده صحيح 135/15 - 137/1 رقم 7967 . و(ضعفه الألباني)؟؟

وقد روي عن ابن عيينة أنه قال: هو مالك بن أنس. وكذا قال عبد الرزاق.

نشأ مُجدداً في التحصيل والرواية وقد أخذ العلم وروى عن عدد كبير من التابعين وتابعيهم الذين يعدون بالمئات نذكر منهم: نافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وأبا الزناد وعائشة بنت سعد بن أبي وقاص، ويحيى بن سعيد الأنصاري وسنذكر شيوخه . من منهجه قوله : العلم آية محكمة أو سنة مبينة ، أو لا أدري .

... ونشأ في بيت اشتغل بعلم الحديث. وكان أكثرهم عناية عمه نافع المكنى بـ "أبي سهيل"، ولذا عد من شيوخ ابن شهاب. وكان أخوه النضر مشتغلاً بالعلم وملازماً للعلماء حتى أن مالك كان يكنى بأخي النضر لشهرة أخيه. صبر على طلب العلم حتى قيل إنه باع سقف بيته قال القاضي عياض ثم اتته الدنيا صاغرة .

حفظ القرآن الكريم، ثم اتجه لحفظ الحديث، وكان لا بد لكل طالب علم من ملازمة عالم من العلماء، فلزم في البداية ابن هرمز المتوفى سنة 148 هـ سبع سنين لم يخلطه بغيره، عرف عن الإمام مالك بأنه قوي الحافظة كان يحفظ أكثر من 40 حديثاً في مجلس واحد.

ولقد كان رحمه الله إمام دار الهجرة، فانتشر علمه في الأمصار واشتهر في سائر الأقطار وضربت إليه أكباد الإبل وارتحل الناس إليه من شتى الأنحاء، فكان يدرّس وهو ابن سبع عشرة سنة، فمكث يُفتي ويعلم الناس، حتى إن كثيراً من مشايخه رويوا عنه كمحمد بن شهاب الزهري، وربيعه بن أبي عبد الرحمن فقيه أهل المدينة، ويحيى ابن سعيد الأنصاري، وموسى بن عقبة وروي عنه كثير من الرواة حتى إن القاضي عياضاً ألف كتاباً عدّ فيه ألفاً وثلاثمائة اسم ممن روى عن الإمام رضي الله عنه، أشهرهم سفيان الثوري والإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي وعبد الله بن المبارك .

ومن أقرانه الأوزاعي والثوري والليث بن سعد. وقد بلغ عدد شيوخه على ما قيل ثلاثمائة من التابعين وستمائة من أتباع التابعين، تحلق الناس عنده لطلب العلم وهو ابن سبع عشرة سنة ولم يفت إلا بعدما استشار سبعين عالماً من علماء المدينة وهو ابن أربعين سنة .

قال ابن خدّاش لقد بلغ بالإمام مالك في طلب العلم أن باع سقف بيته.

قال مالك قدم علينا الزهري وفينا ربعة فألقى ثلاثة وأربعين حديثاً وقال وما ينفعمكم القاء الحديث ولستم تحفظونه . فقال ربعة هنا غلام إن شئت عرض عليك كل ما حدثت به وأشار إلى مالك فقال الزهري قل : ففعل . فتعجب الزهري وقال : ما كنت أظن أنه بقي من يحفظ هذا غيري.

وطرق الباب على الزهري يوم عيد ليخلو به فقالت الجارية للزهري سيدها مولاك الأشقر بالباب . قال الزهري انه يوم عيد ما الذي جاء بك قال مجالستك فقدم له طعاماً قال مالك : لا حاجة لي به . فأقرأه ثلاثة عشر حديثاً فاستزاده مالك قال حتى تحفظها قال مالك ان شئت رددتها عليك فجذب الزهري الألواح وقال اعرض فقرأها جميعاً . فقال له الزهري قم فأنت من أوعية العلم .

ولقد كانت واستمرت المدينة في العصر الأموي موقلاً للشريعة، ومرجع العلماء حتى الصحابة أنفسهم، حتى إن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) كان يسأل عن الأمر وهو بالعراق فيفتي به، فإذا جاء إلى المدينة ووجد ما يخالفه عاد إلى العراق لا يحط راحلته حتى يرجع إلى من أفتاه فيخبره .

ولقد نشأ الإمام مالك وللمدينة تلك المكانة لم تزايلها، فقد كانت مهد السنن وموطن الفتاوى المأثورة، اجتمع بها الرعيل الأول من علماء الصحابة، ثم تلاميذهم من بعدهم حتى جاء الإمام مالك فوجد تلك التركة المثرية من العلم والفقه والحديث والفتاوى فنمت مواهبه تحت ظلها وجنى من ثمرتها، وشدا بما تلقى من رجالها، حتى إنه من تأثره بالمدينة وعلمانها اشتق من ذلك أصلاً من أصوله التي بنى عليها فقهه وهو عمل أهل المدينة .

و خلاصة فقه الإمام مالك ومذهبه هو البحث عن المصلحة وحيثما تكون المصلحة فثم شرع الله وعنده أن الشارع لم يقصد في نصوصه وبها إلا المصلحة وأنها تؤخذ من النص . أو من عموم ما ورد في النص، مثل : قوله صلى الله عليه وسلم : (لا ضرر ولا ضرار) وقوله تعالى : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) . والمصلحة التي ليس لها في شريعة الله أمر أو نهى، وهذه هي المصلحة المرسلة . وهي التي يكون نفعها أكثر من ضررها .

كان الإمام مالك يبتعد في تدريسه عن الجدل ولغو الكلام، وعرف في درسه بالسكينة والوقار، وكان عالماً مهيباً نبيلاً، ليس في مجلسه شيء من المراء واللعظ، ورفع الصوت، ومن أشهر كتب المذهب المالكي الموطأ الذي ألفه الإمام مالك بنفسه .

وقد أخذ عن نافع القراءة وأخذ عنه نافع الحديث . وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي : أي القراءة أفضل قال قراءة أهل المدينة . المذاهب الأربعة في الإسلام

... والمذاهب الأربعة في الإسلام عبارة عن اجتهادات ، وأحكام كبار شيوخ الإسلام في بعض المسائل الفقهيّة التي لم يجد لها الناس حكماً في القرآن ، ولا في السنّة ، ففي الإسلام أحكام ثابتة لا تتغيّر، وقد وردت في القرآن، أو في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن مع تغيّر الزمن ، واتساع رقعة الإسلام ، ظهرت العديد من المسائل التي تحتاج لحكم شرعي ، وقد دعا الإسلام إلى الاجتهاد في هذه المسائل ، ومحاولة استنباط الحكم الصحيح لها ، فأخذ مجموعة من شيوخ الإسلام على عاتقهم توضيح الأحكام الشرعيّة ، بيان حكمها ، وقد انتهجوا في ذلك ما عمل به التابعين في التحري والاستقصاء، ومن أهم هؤلاء الشيوخ الذين عرفوا بتقواهم، وعلمهم، واجتهادهم الامام مالك رحمه الله .

وإن أقرب المذاهب لمذهب الإمام مالك هو مذهب الإمام أبو حنيفة، لأن كليهما - مالك وأبو حنيفة - من أهل الرأي ، ومن رواد مدرسة الرأي ؛ كما أن منهج الإمام أبي حنيفة كمنهج مالك في المسألة الشرعية .

والإمام مالك لم يؤسس لنفسه مذهباً له قواعد وأركان حتى ينشرها في البلاد ، وإنما رحمه الله كان يفتي الناس ويبين لهم ما أشكل عليهم من مسائل ، و نقل عنه تلاميذه كل تلك القضايا والمسائل ودونها في الكتاب الأضخم الذي أرسى قواعد المذهب المالكي ، وهو المدونة الكبرى .

أما عن أسباب انتشار المذهب المالكي فيرجع إلى أن قوافل المسلمين التي فتحت المغرب وبلاد الأندلس من أهل المدينة والحجاز، حيث كان الفاتحون يعملون بمذهب الإمام مالك لأنه كان آنذاك إمام أهل الحجاز ومذهبه - منهجه وطريقته - سائد فيهم ، فلما فتحوا البلاد نشروا مذهبهم ؛ وربما من الدوافع السياسية كذلك أن بلاد الأندلس أرادت أن تثبت استقلالها عن الدولة العباسية والخلافة العباسية ، وقد كانت الأخيرة تسير على المنهج الحنفي ، فكان لا بد من وجود مذهب آخر لتثبت استقلالها . وقد كان المذهب المالكي سائداً في القضاء، في بلاد المغرب والأندلس لأن قضاتهم تعلموا في المدينة المنورة ، حيث وجود المذهب المالكي . وكذا انتشر مذهب الإمام مالك بشكل واسع في البلاد والأفق لما فيه من سهولة ويسر . وكان انتشاره بفضل الله أولاً، ثم بفضل تلامذة الإمام واجتهادهم ونقلهم للفتيا والعمل والتقليد عن الإمام ، والذي كان مرجعاً للناس ومرداً لهم في المدينة المنورة، ومن الخصائص الرائعة التي اقتص بها هذا المذهب التوسّع في مصادر التشريع لتشمل جميع مجالات الحياة ، والمرونة التي يميّز بها ، إذ إنّ السلطات الفرنسيّة كانت تسنّ القوانين المستقاة من المذهب المالكي كما ذكر في كتاب " المقارنات التشريعية " ، لمخلوف مياوي، ولسيد عبد الله حسين .

مناقبه:

قد جاء عن مالك رضي الله عنه أنه سئل ثمانية وأربعين سؤالاً فأجاب عن ستة وقال عن البقية لا أدري - وقد أنكر بعض من يعده الناس من المشايخ عندنا، وهو معروف في بلدنا جمع بين الدراسة التقليدية وقليل من الدراسة الحديثة . أن يكون الإمام مالك فعل هذا وقال كيف لمثله أن يرد السائلين . قلت أن من لم يتخلق بأخلاق العلماء الأولين صعب عليه التشبه بهم لغروره وكبره فلجأ إلى التشكيك في الأخبار وإنكار ضوء الشمس في رابعة النهار لعمش عينيه والله المستعان . - ولقد كان الإمام مالك بن أنس معظماً للعلم حتى إنه إذا أراد أن يحدث توضاً وصلى ركعتين وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث، فقليل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ولا أحدث به إلا متمكناً على طهارة . وكان الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه معظماً للنبي موقراً له ، فقد قال مصعب بن عبد الله : كان مالك إذا ذكر النبي يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقليل له يوماً في ذلك فقال : «لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم عليّ ما ترون ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد كان كثير الدعابة والتبسّم فإذا ذكر عنده النبي اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله إلا على طهارة ، .

ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصلياً وإما صامتاً وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل .

يروى من أن الخليفة هارون الرشيد قدم إلى المدينة المنورة وكان قد بلغه أن الإمام مالكاً يقرأ الموطأ على الناس، فأرسل إليه البرمكي وقال له : اقرأ عليه السلام وقل له يحمل إليّ الكتاب فيقرأه عليّ، فأتاه البرمكي فأخبره فقال الإمام رضي الله عنه : اقرأ على أمير المؤمنين السلام وقل له إن العلم يزّار ولا يزور، وإن العلم يوتى ولا يأتي، فقصده الرشيد منزل الإمام واستند إلى الجدار فقال له الإمام مالك: يا أمير المؤمنين، من إجلال رسول الله إجلال العلم.

ولم يكن هذا الفعل من الإمام تكبراً على الخليفة، بل كان ذلك لمصلحة شرعية هي بيان فضل العلم والعلماء وتعليم الناس سواء كانوا حكاماً أو محكومين أن يجتأروا العلم ويوقروه ويكون له في نفوسهم رهبة وهيبة، وإلا فالإمام مالك رضي الله عنه كان من أشد أهل عصره تواضعاً وليناً.

وكان الناس إذا أتوا الإمام مالكاً خرجت إليهم جارية له فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثياباً جديداً ولبس ساجه وتعمم ووضع رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله وكان رحمه الله لا يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله وقيل في ذلك لمالك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ولا أحدث به إلا على طهارة متمكناً .

قال الدراوردي رحمه الله: رأيت في المنام أني دخلت مسجد رسول الله فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام يعظ الناس إذ دخل عليه مالك فلما رآه النبي عليه الصلاة والسلام قال== إليّ إليّ- فأقبل حتى دنا منه فنزع النبي خاتمه من أصبعه فوضعه في خنصر مالك رضي الله عنه فأولته بالعلم وكان العلماء يقتدون بعلمه والأمراء يستضيئون برأيه، والعامّة منقادين إلى قوله، فكان يأمر فيمتمثل بأمره بغير سلطان . ولقد قال الإمام ابن حبان في *الثقات*== كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة ، وأعرض عن من ليس بثقة في الحديث ، ولم يرو إلا ما صح ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك.

ثم إن أقوال الكثيرين من علماء عصره جعلنا نتبين مدى حرصه على دين الله فقد قال الإمام الشافعي عنه: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وقال ابن معين: مالك من حُجج الله على خلقه، وقال يحيى بن سعيد القطان: مالك أمير المؤمنين في الحديث، وقال ابن سعيد: كان مالك ثقة مأموناً ثبّتاً ورعاً فقيهاً عالماً حجة.

وهو إمام دار الهجرة، نجم السنن كما قال الشافعي وغيره، من الأئمة المعروفين المتبوعين أصحاب المذاهب الباقية إلى يومنا هذا، فهو إمام المذهب المالكي، لمذهبه انتشار واسع في بلاد المغرب والأندلس، وله أيضاً وجود في العراق وفي مصر وغيرهما.

ذكر الحسين بن عروة أرسل المهدي إلى مالك الفتي وقيل ثلاثة آلاف دينار ثم جاءه ربيعة وقال إن أمير المؤمنين يريدك أن تعادله أي ترافقه إلى مدينة السلام . قال مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (... والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ..) والمال عندي على حاله . وكان مالك يقول عن الطاعنين والسبابين للصحابه : هؤلاء يطعنون في رسول الله صلى الله عليه وسلم . لأن الناس يقولون اتخذ أصحابه أصحاب سوء .

من صفات الامام الإخلاص الذي هو أساس النجاح والفلاح في كل الأمور، ولقد كان طلب مالك للعلم بدافع الإخلاص لوجه الله ، وابتغاء مرضاة الله لا يبغى علواً ولا استكباراً ، ولا مراةً ولا جدالاً ، ولذلك كان يتحري في الإفتاء والتزام الإفتاء في المسائل الواقعة دون المفروضة والمقدرة مما لم يقع ، وكان يتأني في الفتوى ويعمل النظر في المسألة و يفكر فيها التفكير الطويل والعميق ولا يسارع إلى الإفتاء إلا بعد أن ينشرح صدره وتطمئن نفسه إلى ما يراه من أنه الحكم الشرعي المناسب ، ومن شدة تحريه في الفتوى أنه ربما سهر الليالي في سبيل التوصل إلى ما يطمئن إليه فقد روي عنه أنه كان يقول: ربما وردت علي المسألة فأسهر فيها عامة ليلتي .

قال ابن عبد الحكم : كان مالك إذا سئل عن المسألة قال للسائل انصرف حتى أنظر فيها ، فينصرف ويتردد فيها. فقلنا له في ذلك ، فبكى وقال : إنني أخاف أن يكون لي من السائل يوم وأي يوم .
قال: وكان مالك إذا جلس نكس رأسه ويحرك شفثيه بذكر الله ولم يلتفت يمينا ولا شمالاً ، فإذا سئل عن مسألة تغير لونه وكان أحمر بصفرة فيصفر وينكس رأسه ويحرك شفثيه . ثم يقول : ما شاء الله ولا قوة إلا بالله، فربما يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب منها.

وكان يتحرز من قوله هذا حلال وهذا حرام من غير نص من الكتاب والسنة ، وكان يقول: أكره كذا وأحب كذا ، من دون جزم أو قطع ، وكان كثيراً ما يقول : إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين.
ومن إخلاصه ابتعاده عن كثير مما يرى أنه لا يليق بمقام العالم المخلص الذي يطلب العلم لله ولدين الله ، فقد ابتعد عن الجدل والمراء ، لأن الجدل نوع من المنازلة ودين الله أعلى من أن يكون موضعاً لنزال المسلمين ، كما أن الجدل يدفع في كثير من الأحيان إلى التعصب للفكرة من دون شعور المجادل ، ويكون الغرض هو أن ينال إعجاب السامعين ، ولذلك كان يقول : الجدل في الدين ليس بشيء ، ويقول : المراء والجدال في الدين يذهب بنور العلم من قلب العبد. ويقول : إن الجدل يقسي القلب ويورث الضغن .

ونذكر من مناقبه وهيبته رضي الله عنه ما حدث للشافعي معه لما أراد التلمذ عليه . كان الشافعي قد تربى وترعرع الشافعي في مكة وحفظ القرآن الكريم ، وأخذ اللسان العربي الفصيح عند قبيلة جهينة القرييين من مكة .

وأراد أن يأخذ العلم عن مالك ، فقالت له أمه : هل لك علم بفقهِ مالك ؟ قال : لا . قالت : احفظ موطأه . قال فاستعرت نسخة وحفظته في أسبوعين وهي الأحاديث الشريفة وأقوال الصحابة واجتهادات الامام مالك . وعدة كل ذلك ثلاثون ألف حديث . فأخذ الشافعي كتابين أي رسالتين من والي مكة إلى والي المدينة المنورة والثاني إلى الامام مالك بها شفاعاً ليقبله الإمام طالب علم عنده . فتردد والي المدينة هيبه من مالك لأنه لا يقبل الشفاعه من أحد . ولكنه أوصل الشافعي إلى دار الإمام مالك بالحراسة والجند والحاشية . فلما طرقت الباب عليه خرجت جاريتها تقول بعد أن دخلت وذكرت له أن الوالي وحاشيته بالباب . إن الامام يقول : إن كنت تسأل عن مسألة فأمامك المسجد وإن كان أمر آخر فقد أتيت في غير موعد وانصرف . فقال إن معي خطاباً من والي مكة لا بد أن يقرأه فدخلت وأخبرته فخرج وخرجت قبله ووضعت له كرسيًا عند الباب . قال الشافعي وكان عمره سبع عشرة سنة رأيت جنود الوالي والوالي تراجعوا لما خرج الامام مالك هيبه منه . فقرأ الرسالة ثم رماها على الأرض وقال لا شفعة في العلم قال الشافعي فرعتها عن الأرض وقلت : أحسن الله إليك . أنا محمد بن إدريس الشافعي مات أبي وعمري سنتان وعلمتني أمي على فقر وحفظت القرآن وحفظت الموطأ . فرفع الامام مالك رأسه وقال ما اسمك ؟ قال الشافعي محمد بن إدريس . قال تحفظ القرآن قال قلت نعم قال اقرأ من سورة الأنعام إن فالح الحب والنوى قال الشافعي فقرأت فرأيت الإمام مالك يبكي . قال حسبك اقرأ من سورة الأعراف ... حتى يلج الجمل في سم الخياط . فرأيته يبكي قال فاختر لي ستة مواضع . قال ماذا تحفظ من الموطأ قال قلت أحفظه كله . قال الشافعي فبدأت أعرض عليه قال الشافعي فانبهه وقال له إنني أرى في وجهك نورا وإن استمررت على ما أنت عليه من حفظ واتباع سنة المصطفى فستكون عالماً من علماء الأمة . قبلتك عندي بشرطين الأول أن لا تظن أنني قبلتك بخطاب الوالي . والثاني أن تجلس حيث انتهى بك مجلس العلم وبقدر ما تعرف من السنة سيكون مجلسك أقرب مني . قال الشافعي فنلت العلم حتى وصلت إلى الجلوس على كرسي الامام مالك .

وفيما ورد عن البشارة به رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن ابن عيينة عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة . وبه إلى ابن مخلد : حدثنا ليث بن الفرغ ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يأتي على الناس زمان يضربون أكباد الإبل . . . فذكر الحديث . هذا حديث

نظيف الإسناد ، غريب المتن . رواه عدة عن سفيان بن عيينة . وفي لفظ : يوشك أن يضرب الناس أباط الإبل يلتمسون العلم وفي لفظ : من عالم بالمدينة وفي لفظ : أفقه من عالم المدينة .

وقد رواه المحاربي عن ابن جريج موقوفاً ، ويروى عن محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن ابن جريج مرفوعاً . .

وقد رواه النسائي فقال : حدثنا علي بن أحمد ، حدثنا محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن أبي الزناد ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : يضربون أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة قال النسائي : هذا خطأ ، الصواب عن أبي الزبير ، عن أبي صالح .

معن بن عيسى ، عن أبي المنذر زهير التميمي ، قال : قال عبيد الله بن عمر ، عن سعيد بن أبي هند ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة .

ويروى عن ابن عيينة قال : كنت أقول : هو سعيد بن المسيب ، حتى قلت : كان في زمانه سليمان بن يسار ، وسالم بن عبد الله ، وغيرهما ، ثم أصبحت اليوم أقول : إنه مالك ، لم يبق له نظير بالمدينة .

قال القاضي عياض : هذا هو الصحيح عن سفيان . رواه عنه ابن مهدي وابن معين ، وذؤيب بن عمامة وابن المدني ، والزبير بن بكار ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، كلهم سمع سفيان يفسره بمالك ، أو يقول : وأظنه ، أو أحسبه ، أو أراه ، أو كانوا يرونه .

وذكر أبو المغيرة المخزومي أن معناه : ما دام المسلمون يطلبون العلم لا يجدون أعلم من عالم بالمدينة . فيكون على هذا : سعيد بن المسيب ، ثم بعده من هو من شيوخ مالك ، ثم مالك ، ثم من قام بعده بعلمه ، وكان أعلم أصحابه .

قلت : كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحبيه ، زيد بن ثابت ، وعائشة ، ثم ابن عمر ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم الزهري ، ثم عبيد الله بن عمر ، ثم مالك .

وعن ابن عيينة قال : مالك عالم أهل الحجاز ، وهو حجة زمانه . وقال الشافعي - وصدق وبر - إذا ذكر العلماء فمالك النجم . قال الزبير بن بكار في حديث : ليضربن الناس أكباد الإبل . . . كان سفيان بن عيينة إذا حدث بهذا في حياة مالك ، يقول : أراه مالكا . فأقام على ذلك زماناً ثم رجع بعد ، فقال : أراه عبد الله بن عبد العزيز العمري الزاهد .

قال ابن عبد البر ، وغير واحد : ليس العمري ممن يلحق في العلم والفقاه بمالك ، وإن كان شريفاً سيداً ، عابداً .

قال أحمد بن أبي خيثمة : حدثنا مصعب ، قال : أخبرنا سفيان : نرى هذا الحديث أنه هو مالك ، وكان سفيان يسألني عن أخبار مالك .

محتته :

أدرك بهذا العمر الطويل المبارك الدولتين الإسلاميتين : الأموية والعباسية . مع وجود المعارضين والمخالفين ، بعضهم بلسانه وقلمه ، والآخر بسيفه وترسه ، وهذه المعارضة الأخيرة - يعني المسلحة - أخذت تتنامى شيئاً فشيئاً حتى قامت المعارضة العباسية بقلب الدولة الأموية ، وإقامة دولتها مكاتها ؛ وذلك بعد ويلات وأهوال وشدائد ودماء منات الآلاف التي تخضبت بها أرض خراسان والعراق والشام ، وإن بقيت الحجاز بمنأى عن هذه الأحداث الملتهبة منذ أحداث الحرة الأليمة سنة 61 هـ ، هذه الأحداث المتلاحقة جعلت العباسيين يشتدون مع معارضيهم ،

وبسبب هذه المضار والمفاسد العظيمة المترتبة على الخروج على الحكام لم ير مالك الخروج عليهم ، وإن كانوا ظالمين وجائرين ، هو مع ذلك لم يكن مدهاناً لخليفة ولا أمير ، أو يكتم العلم من أجلهم ، بل يلتزم معهم الحياد ، فهو وإن كان يلزم الجماعة والطاعة ، لا ير بأن سياسة السلطان في عصره هي الحق الصراح الذي يتفق مع أحكام الإسلام ، وهدى القرآن ، بل يرضى بالطاعة لأن فيها إصلاحاً نسبياً ؛ فكانت طريقته في الإصلاح حسبما ارتأه ألا يناصر أحداً عند الفتن ، ورغم ذلك ، ورغم كرهه الإمام مالك للثورات والتحريض عليها إلا إنه لم يسلم من آذاها . فبعد أن ارتفعت مكانة ومنزلة الإمام مالك عند الخاصة والعامة ، حتى جلس الخلفاء بين يديه ، وقرأ الأمراء له ، وأخذ الخلفاء بمشورته ، وصدع الناس لما أمرهم به حسده على ذلك بعض أهل العلم ممن يؤثرون الدنيا ، ويسعون إليها ،

ووشوا به عند أمير المدينة جعفر بن سليمان في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور؛ وذلك سنة 147 هـ ، وكانت التهمة : أن مالكا لا يرى أيمان البيعة للخلافة هذه بشيء.

ولكن هل قال مالك ذلك حقاً ؟

إن الذي أفتى به الإمام مالك رحمه الله أن يمين المكره لا تلزمه، وذلك عملاً بالحديث الموقوف على ابن عباس: ليس لمكره، ولا لمضطهد طلاق ؛ و هو صحيح عن ابن عباس، ولا يصح رفعه، وقد علقه البخاري في كتاب الطلاق، وفي رواية أخرى عن ابن عباس: ليس على مستكره طلاق، ولم يكن سبباً لمحنة هو التحديث بهذا الحديث وحده، ولكن التحديث به وقت الفتن، واستخدام الثائرين لذلك الحديث، ولمكانة الإمام مالك العلمية تحريضاً للناس على الخروج على الخليفة ؛ فلما بلغ الأمر السلطة الحاكمة أمر أبو جعفر المنصور الإمام مالكا ألا يحدث الناس بهذا الحديث، وبهذه الفتوى، ونهاه عن ذلك بشدة، فلم يستجب مالك رحمه الله لهذه الضغوط، ولم يسكت؛ فقد كان يرى في السكون عنه كتماناً للعلم الذي استودعه إياه الله عز وجل، وقد نهى الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم عن كتمان العلم، وتوعداً فاعله بالنار.

ولعلم أبي جعفر المنصور أن الإمام مالك لن يسكت عن نشر العلم أمر واليه على المدينة : جعفر بن سليمان أن يدس على مالك من يسأله عن هذا الحديث على رءوس الناس ، وبالفعل أجاب مالك على المسألة ، وروى حديث ابن عباس ، وعندها أرسل جعفر بن سليمان من قبض على الإمام مالك ، واحتج عليه بما رفع إليه عنه ، فلم ينكر الإمام ، ولم يخش في الله عز وجل لومة لائم ، فأمر جعفر بتجريدته من ملابسه ، وضربه بالسياط ، وجذبت يده حتى انخلت من كتفه، وعذبه عذاباً شديداً ، وأهانته، وتعمد إسقاط هيئته ومنزلته بكل هذه الإساءات، ولكن الله عز وجل قد رفع قدر مالك بعد هذه المحنة ، وازداد رفعة بين العالمين ، وهذه ثمرة المحنة المحمودة ؛ فإنها ترفع صاحبها عند المؤمنين .

وقد اتفق المؤرخون على نزول هذه المحنة به، وأكثر الرواة على أنها نزلت به سنة 146 هـ، وقيل سنة 147 هـ، وقد ضرب في هذه المحنة بالسياط، ومُدت يده حتى انخلت كتفاه، وقد اختلفوا في سببها على أقوال كثيرة أشهرها: ما ذكرنا . أي أنه كان يحدث بحديث : «ليس على مستكره طلاق» ، فاتخذ مروجو الفتن من هذا الحديث حجةً لبطلان بيعة أبي جعفر المنصور، وذاع هذا وشاع في وقت خروج محمد بن عبد الله بن حسن النفس الزكية بالمدينة، وقيل أن الذي أنزل المحنة بالإمام مالك فهو والي المدينة جعفر بن سليمان، وكان ذلك من غير علم أبي جعفر المنصور، لأن المحنة كانت بعد مقتل محمد النفس الزكية سنة 145 هـ، أي بعد أن اجتثت الفتنة من جذورها، ولكن تذكر رواية أخرى أن أبا جعفر المنصور هو الذي نهى عن التحديث بالحديث، وأنه دس له من يسمع منه، فراه قد حدث به كما قدمنا . ويظهر أن أهل المدينة عندما رأوا فقيها وإمامها ينزل به ذلك النكال سخطوا على بني العباس وولاتهم، وخصوصاً أنه كان مظلوماً، فما حرض على الفتنة ولا بغى ولا تجاوز حد الإفتاء، ولم يفارق خطته قبل الأذى ولا بعده، فلزم درسه بعد المحنة لا يحرض ولا يدعو إلى فساد، فكان ذلك مما زادهم نقمة على الحاكمين، وجعل الحكام يحسون بمرارة ما فعلوا، لذلك عندما جاء أبو جعفر المنصور إلى الحجاز حاجاً أرسل إلى مالك يعتذر إليه، قال الإمام مالك:

« لما دخلت على أبي جعفر، وقد عهد إلي أن آتية في الموسم، قال لي : «والله الذي لا إله إلا هو ما أمرت بالذي كان ولا علمته، إنه لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم، وإني أخالك أماناً لهم من عذاب، ولقد رفع الله بك عنهم سطوة عظيمة، فإنهم أسرع الناس إلى الفتن، وقد أمرت بعد والله أن يؤتى به من المدينة إلى العراق على قتب، وأمرت بضيق محبسه والاستبلاغ في امتهانه، ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما لك منه»، فقلت: «عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه، قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله وقرابته منك»، قال: «فعا الله عنك ووصلك».

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى : (إن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالى ، ويقولون : إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، ويقولون : إن الله يرى في الآخرة ، هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم ، وهذا مذهب الأئمة المتبوعين مثل الإمام مالك بن أنس والليث بن سعيد والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي وأحمد) . منهاج السنة 106/2

وهذه طائفة من اقوال الإمام العالم الرباني مالك بن أنس رحمه الله تعالى فيما يعتقد في مسائل اصول الدين ...

أ - قوله في التوحيد :

(1) أخرج الهروي عن الشافعي قال : سئل مالك عن الكلام والتوحيد ، فقال مالك : (محال أن يظن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم :) (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) ((فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد) . ذم الكلام (ق - 210 .

(2) وأخرج الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال : (سألت مالكا والثوري والأوزاعي والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات فقالوا: أمرها كما جاءت) . [أخرج هذا الدارقطني في الصفات ص 75 ، والأجري في الشريعة ص 314 ، والبيهقي في الاعتقاد ص 118 ، وابن عبد البر في التمهيد 149/7 .

(3) وقال ابن عبد البر : (سئل مالك أيرى الله يوم القيامة ؟ فقال : نعم يقول الله عز وجل : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } . وقال لقوم آخرين : { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون } . الانتقاء ص 36 .

وأورد القاضي عياض في ترتيب المدارك (42/2) عن ابن نافع وأشهب قالا : وأحدهم يزيد على الآخر يا أبا عبد الله { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } ينظرون إلى الله ؟ قال : نعم بأعينهم هاتين ؛ فقلت له : فإن قوماً يقولون لا ينظر إلى الله ، إن ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب قال : كذبوا بل ينظر إلى الله ، أما سمعت قول موسى عليه السلام : { رب أرني أنظر إليك } أفترى موسى سأل ربه محالاً ؟ فقال : { لن تراني } أي في الدنيا لأنها دار فناء ، ولا ينظر ما يبقى بما يفنى ، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى وقال الله : { كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون .

(4) وأخرج أبو نعيم عن جعفر بن عبد الله قال : (كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله ، الرحمن على العرش استوى ، كيف استوى ؟ ، فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته ، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرخضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال : كيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج) . الحلية (6) 325،326 .

(5) وأخرج أبو نعيم عن يحيى بن الربيع قال : (كنت عند مالك بن أنس ودخل عليه رجل فقال يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟ فقال مالك : زنديق فاقتلوه ، فقال : يا أبا عبد الله ، إنما أحكي كلاماً سمعته . فقال : لم أسمع من أحد ، إنما سمعته منك ، وعظم هذا القول) . الحلية 325/6 .

(6) وأخرج ابن عبد البر عن عبد الله بن نافع قال : (كان مالك بن أنس يقول من قال القرآن مخلوق يوجع ضرباً ويحبس حتى يتوب) . الانتقاء ص 35 .

(7) وأخرج أبو داود عن عبد الله بن نافع قال : (قال مالك : الله في السماء وعلمه في كل مكان) . رواه أبو داود في مسائل الإمام أحمد ص 263 .

ب - قوله في القدر:

(1) أخرج أبو نعيم عن ابن وهب قال : (سمعت مالكا يقول لرجل سألتني أمس عن القدر ؟ قال : نعم ، قال : إن الله تعالى يقول : { ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين } . فلا بد أن يكون ما قاله الله تعالى) . الحلية (6/326)

وقال القاضي عياض : (سئل الإمام مالك عن القدرية : من هم ؟ قال : من قال : ما خلق المعاصي ، وسئل كذلك عن القدرية ؟ قال : هم الذين يقولون إن الاستطاعة إليهم إن شاءوا أطاعوا وإن شاءوا عصوا) . ترتيب المدارك (48/2) .

(3) وأخرج ابن أبي عاصم عن سعيد بن عبد الجبار قال : (سمعت مالك بن أنس يقول : رأيي فيهم أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا - يعني القدرية -) . السنة لابن أبي عاصم 1 / 87،88 .

(4) وقال ابن عبد البر : (قال مالك : ما رأيت أحداً من أهل القدر إلا أهل سخافة وطيش وخفة) . الانتقاء ص 34

(5) وأخرج ابن أبي عاصم عن مروان بن محمد الطاطري قال : (سمعت مالك بن أنس يسأل عن تزويج القدري ؟ فقرأ : { ولعبد مؤمن خيرٌ من مشرك } ...) . الانتقاء ص 34 .

(6) وقال القاضي عياض : (قال مالك : لا تجوز شهادة القدري الذي يدعو إلى بدعته ، ولا الخارجي والرافضي) . ترتيب المدارك 47/2 .

(7) وقال القاضي عياض : (سئل مالك عن أهل القدر أنكف عن كلامهم ؟ قال : نعم إذا كان عارفاً بما هو عليه ، وفي رواية أخرى قال : لا يُصلى خلفهم ولا يقبل عنهم الحديث وإن وافيتهم في ثغر فأخرجوهم منه) . ترتيب المدارك 47/2

ج - قوله في الإيمان:

(1) أخرج ابن عبد البر عن عبد الرزاق بن همام قال : (سمعت ابن جريح وسفيان الثوري ومعر بن راشد وسفيان بن عيينه ومالك بن أنس يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص) . الانتقاء ص 34 .

(2) وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن نافع قال : (كان مالك بن أنس يقول : الإيمان قول وعمل) . الحلية 6/327

وأخرج ابن عبد البر عن أشهب بن عبد العزيز قال : (قال مالك : فقام الناس يصلون نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم أمروا بالبيت الحرام فقال الله تعالى : { وما كان الله ليضيع إيمانكم } أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، قال مالك : وإنني لأذكر بهذه قول المرجئة : إن الصلاة ليست من الإيمان) . الانتقاء ص 34 .

د - قوله في الصحابة :

(1) أخرج أبو نعيم عن عبد الله العنبري قال : (قال مالك بن أنس : من تَنَقَّصَ أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو كان في قلبه عليهم غل ، فليس له حق في فيء المسلمين ، ثم تلا قوله تعالى : { والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً } . فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل ، فليس له في فيء حق) . الحلية 6/327 .

(2) وأخرج أبو نعيم عن رجل من ولد الزبير قال : (كنا عند مالك فذكروا رجلاً يَتَنَقَّصُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ مالك هذه الآية : { محمد رسول الله والذين معه أشداء - حتى بلغ - يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار } . فقال مالك : من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أصابته الآية) . الحلية (6/327)

(3) وأورد القاضي عياض عن أشهب بن عبد العزيز قال : (كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين وكانوا يقبلون على مجلسه فناده : يا أبا عبد الله فأشرف له مالك ، ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه ، فقال له الطالب : إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله ، إذا قدمت عليه فسألني ، قلت له : مالك قال لي . فقال له : قل . فقال : من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أبو بكر ، قال العلوي : ثم من ؟ قال مالك : ثم عمر . قال العلوي : ثم من ؟ قال : الخليفة المقتول ظلماً ، عثمان . قال العلوي : والله لا أجالسك أبداً . فقال له مالك : فالخيار إليك) . [ترتيب المدارك (45-2/44)]

الإمام مالك وموقفه من الرافضة :

عن مؤلف لمحمد كاوا أبو عبد البر

من أقوال إمام دار الهجرة رضي الله عنه في هذه الطائفة الخبيثة التي ابتلي بها المسلمون وهم الروافض أعداء الدين الزنادقة ، الذين يستترون وراء زندقتههم بحب آل البيت ، وآل البيت منهم براء ، فقد حذر منهم الإمام علي رضي الله عنه أكثر من مرة:

1- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام" هكذا رواه عبد الله ابن أحمد في مسند أبيه . الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ص582

2- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "يجيء قوم قبل قيام الساعة يسمون الرافضة براء من الإسلام" الصارم المسلول: ص582

3- عن علي قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: "يا علي أنت وشيعتك في الجنة وإن قوما لهم نيز يقال لهم الرافضة إن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون" قال علي: "ينتحلون حينا أهل البيت وليسوا كذلك وآية ذلك أنه يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما". الصارم المسلول: ص582

4- قال علي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلك على عمل إذا عملته كنت من أهل الجنة؟ وإنك من أهل الجنة إنه سيكون بعدنا قوم لهم نيز يقال لهم الرافضة فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون" الصارم المسلول: ص582-583

وبما أن الإمام مالك كان قريبا من مرحلة بداية الروافض وهو تلميذ الإمام جعفر الصادق ، فهو كان أعلم بهم وبزندقته ولا يشك أحد في تكفيره لهذه الطائفة المنحرفة . بل أهل السنة و الجماعة هم أتباع أهل البيت رضي الله عنهم.

1- قَالَ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: " مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ أَدَبًا، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قَتِلَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ، وَمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ قَتِلَ "

2- قال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول: " لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف" .

3- قال معن بن عيسى سمعت مالك بن أنس يقول: " من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس له في الفيء حق ، يقول الله عز و جل : { للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا { الآية، هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا معه ثم قال { والذين تبوءوا الدار والإيمان { الآية ، هؤلاء الأنصار ثم قال : { والذين جاؤوا من بعدهم { قال مالك : فاستثنى الله عز و جل فقال { يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان { الآية، فالفاء هؤلاء الثلاثة . فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس هو من هؤلاء الثلاثة ولا حق له في الفيء "

4- قال مصعب الزبيري وابن نافع : دخل هارون الرشيد المسجد فرجع ثم أتى قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) فسلم عليه ثم أتى مجلس مالك فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ،

ثم قال لمالك : هل لمن سب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الفيء حق؟ قال : " لا ، ولا كرامة ولا مسرة". قال من أين قلت ذلك؟ قال: " قال الله عز وجل (ليغيظ بهم الكفار) ، فمن عابهم فهو كافر ولا حق لكافر في الفيء".

5- قال أشهب بن عبد العزيز : سئل مالك عن الرافضة فقال : " لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون".

6- قال عبد الله العنبري : قال مالك بن أنس: " من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا قول الله عز وجل : ما أفاء الله على رسوله حتى أتى على قوله : والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. الحشر: 7- 10 الآية فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له في الفيء حق"

7- قال أبو عروة الزبيري: كنا عند مالك فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ مالك هذه الآية : محمد رسول الله والذين معه . حتى بلغ : يعجب الزراع ليغيض بهم الكفار. الفتح: 29 فقال مالك : " من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته الآية"

8- قال احمد بن حنبل : قال مالك : "الذي يشتم أصحاب النبي ليس لهم سهم أو قال نصيب في الإسلام".

9- عن عقبة بن مسلم الحضرمي قال : قال مالك بن أنس: " دخلت على أبي جعفر الخليفة فقال من افضل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال فهجم علي أمر لم اعلم رأيه قال قلت أبو بكر وعمر قال اصبت وذلك رأي أمير المؤمنين".

10- عن مطرف بن عبد الله عن مالك بن أنس قال : " قال أمير المؤمنين هارون لي يا مالك صف لي مكان أبي بكر وعمر من النبي (صلى الله عليه وسلم) فقلت له : يا أمير المؤمنين قربهما منه في خبائه كقرب قبريهما من قبره" قال شفيتني يا مالك شفيتني يا مالك".

11- قال محمد بن خالد بن عثمة : سمعت مالك بن أنس يقول : " صالحو السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن".

12- قال الشافعي : كان مالك بن أنس يقول : " لست أرى لأحد يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الفيء سهماً".

13- قال أشهب بن عبد العزيز: كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين وكانوا يقبلون على مجلسه فناده يا أبا عبد الله فأشرف له مالك ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه . فقال له الطالب: "إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله إذا قدمت عليه فسألني قلت : مالك قال لي . فقال له : قل : قال من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: " أبو بكر قال العلوي: ثم من؟ قال مالك ثم عمر، قال العلوي ثم من؟ قال : الخليفة المقتول ظلماً عثمان . قال العلوي: والله لا أجالسك أبدا . قال له مالك : فالخيار لك".

14- سأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال : " يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها؟ من شتم الأنبياء قتل ، ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد".

15- قال أبو مصعب عن مالك : " فيمن سب من انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم"

16- قال وكيع: سمعت مالك بن أنس يقول: "واعجباً يسأل جعفر وأبو جعفر عن أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما".

17- قال عبد الله بن نافع: سمعت مالك بن أنس يقول: "لو أن العبد ارتكب الكبائر بعد أن لا يشرك بالله شيئا ثم نجا من هذه الأهواء والبدع والتناول لأصحاب رسول الله أرجو أن يكون في أعلا درجة الفردوس مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وذلك أن كل كبيرة فيما بين العبد وبين الله عز وجل فهو منه على رجاء وكل هوى ليس منه على رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم من مات على السنة فليبشر من مات على السنة فليبشر".

18- قال مالك رضي الله عنه: "إنما هؤلاء قوم أرادوا القدر في النبي صلى الله عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلا صالحا كان أصحابه صالحين".

وقال فيما نقله عنه القاضي عياض في مداركه: (أهل الأهواء كلهم كفار، وأسوأهم الروافض قيل فالنواصب؟ هم الروافض، رفضوا الحق ونصبوا له العداوة والبغضاء). ولذا قال القاضي عياض رحمه الله أيضا: (نقطع بكفر الروافض في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء).

— ومن الواجب التعرض لمسألة مهمة في هذا السياق وهي أن أهل المغرب يتبعون إلى درجة التعصب فقه الإمام مالك بل فقه المدارس المتأخرة في مذهبه. ويخالفونه تماما في العقيدة حيث أنهم ينتهجون في ذلك نهج المتكلمين وهو مذهب أبي الحسن الأشعري الأول. وقد عبر عبد الواحد بن عاشر (ت 1040هـ) عن هذا المعنى في منظومته المرشد المعين بقوله:

في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك

فظلت عقيدة أهل الغرب الإسلامي عقيدة أشعرية، وذلك لم يكن حدثا عابرا، وإنما تميز بكونه عرف تاصيلًا وترسيما وتطورا امتد من القرن الخامس الهجري إلى يومنا هذا. ونجد للفكر الأشعري تميزا واستقلالية عن المدرسة الأشعرية في المشرق، مما يكشف طبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين هذا الفكر وخصوصية الواقع المغربي المميز، وملابساته التاريخية والاجتماعية والسياسية التي عرفها. سيما وأن الفكر الأشعري المغربي قد عرف فقرة نوعية، سواء من حيث تطوره التاريخي، أو من حيث مضامينه وثوابته، أو منهجيته. فكان للمغاربة المالكيين اتصال بنظرائهم الأشاعرة في المشرق. فقد كان مجموعة من كبار المفكرين بالأندلس والمغرب، وتونس يتجهون في بداية حياتهم العلمية إلى المشرق فيتلقون دراستهم الفقهية والعقدية على كبار الأشاعرة هناك، وعند عودتهم إلى بلدانهم يعودون مقتنعين أشد ما يكون الاقتناع بهذا المذهب وبضرورة نشره وتعميمه بين الناس.

* تبنى الدولة الموحدية المذهب الأشعري مذهباً رسمياً للدولة:

سعت الدولة الموحدية إلى محاربة الاتجاه السلفي العقدي، وترسيم المذهب الأشعري كمذهب رسمي للدولة. وكان اعتقاد المغاربة بأن أتباع العقيدة الأشعرية، هم الفرقة الناجية، وفهما منهم الأثر الوارد "لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق" أنه في حق أهل المغرب.. واعتقدوا أن العقيدة الأشعرية هي عقيدة "أهل السنة والجماعة" واستمر الأمر على ذلك إلى يومنا هذا. أي أن الفكر الأشعري في الغرب الإسلامي عموماً، وفي المغرب الأقصى خصوصاً، - كما يقول أهل المغرب - هو طبق الأصل لصاحب المذهب وهو أبو الحسن الأشعري.. الأمر الذي يفيد من جهة أخرى أن أشعرية المغاربة لم تتأثر بالاتجاهات الأشعرية في المشرق، مثل الاتجاه الجويني والباقلاني والغزالي.. بل هي أشعرية اعتدالية سنية سلفية محافظة خلافاً لما يلاحظ في بعض الأقطار... ومنذ انفصال المغرب عن الخلافة العباسية سياسياً سنة (172هـ/ ق 8م)، ظلت سمة الوحدة السياسية - وقد تكلم كثيرون على هذه الوحدة التي طبعت الجو السياسي العام بالمغرب.. وقد اكتملت هذه الوحدة زمن الموحدين بعد الجهد الكبير الذي بذله الأدارسة والمرابطون قبلهم. هذه الوحدة السياسية منحت المنطقة وحدة مذهبية وعقائدية وسلوكية.. وبذلك تميزت المنطقة بطابع الوحدة والاتحاد والاستقلال ترابياً وسياسياً واجتماعياً بحكم طبائعها وتقاليدها وتراثها... ثم إن بعد منطقة المغرب العربي الإسلامي عن بؤرة التوتر تتقاسم المسؤولية المشتركة مع الشرق الإسلامي في المحافظة

على التراث الإسلامي والهوية الإسلامية.. جعلها أقل تأثراً بمظاهر تلك التيارات الإلحادية والصراعات الأيديولوجية. ونجد كذلك أن المغاربة المتكلمين زاجوا في تنظيراتهم بين سياسة الدولة وعلم الكلام، في حين اكتفى المتكلمون المشاركة بتسوية أو تسفيه هذه السياسة أو تلك. ولقد أزر المالكية المذهب الأشعري وانتموا إليه، فكان هو مذهبهم الفقهي مع العقيدة الأشعرية وتصوف الجنيدي، وهكذا ارتبط العقدي بالفقهي والصوفي في تفكير أهل المغرب. وأصبح علم الكلام الأشعري بالمغرب معما على مجموع شرائح المجتمع، بما في ذلك عامة الناس وبادئ الرأي فيهم، فأضحى وكان هناك مجالين معرفيين: مجال تنتظم فيه الثقافة العقيدية انتظاما يتلقاه المتعلمون داخل حقل تعليمي مضبوط ومنظم. والثاني يشكل الثقافة التلقائية، المتداولة في الكلام الشفوي. فبرزت ظاهرة خاصة بالثقافة الأشعرية في الغرب الإسلامي العربي، وهي ظاهرة تنقية الثقافة الشفوية من رواسب العقائد الأخرى المعتزلية، والشيعية، والخارجية.. مما جعل هذه العقيدة تحافظ على استقلاليتها وتميزها.. ثم إن هناك خاصية في الفكر المغربي تمثلت في إنزال علم الكلام إلى العامة، مما جعل المفكرين يعمدون إلى تبسيط مضامينها واختصارها، حتى يسهل على الناس تناولها والاقتراب منها، وحتى لا يسبب أي شيء فيها داعيا لنفورهم منها وبعدهم عنها. لذلك لم تختلط مباحث هذا العلم بمباحث الفلسفة والمنطق كما فعل متأخرو الأشاعرة في المشرق. بل ظل عندهم مبحث العقائد مبحثا مبسطا. ... وقد كان لجامع القرويين فضل كبير في نشر العقيدة الأشعرية واستمرار وجودها بالمغرب، إذ كانت محل عناية شيوخه الذين كانوا يقومون على تدريسها ويؤلفون في شرحها وتحليلها إلى عهد قريب.. هكذا حافظ المغاربة على هذا الفكر التوفيقى المعتدل، دون مبالغة في الخوض العقدي، ودون تعمق في تأويل الصفات، ولكنهم في نفس الوقت لا ينكرون وظيفة العقل ولا يرفضون العقلنة السليمة والمعتدلة.

ولابد أن أذكر و ليس نافلة من القول أنه وفي غفلة من دعاة الحق وأهله وسطوة من ذوي السلطان والآكلين على موانده تتجرأ ثلة من المنتمين إلى جهة رسمية معينة إلى وضع معادلة مضطربة اضطراب رؤوس واضعيتها إضافة إلى احتمال قضاء مآرب أخرى، فقد زعموا أن المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والطرق الصوفية هي المرجعية الدينية للجزائر بالخصوص عبر تاريخها الإسلامي الحافل، وكم تزداد تلك الغرابة والدهشة عندما يُشوّه مذهب الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - (93-179هـ) عن طريق إفراغه من عقيدته السلفية وتلقيحه بعقائد المتكلمين المنحرفين عن هدي الكتاب والسنة الصحيحة ولاسيما عقائد أولئك المتأخرين الذين ينسبون أنفسهم إلى أبي الحسن الأشعري - رحمه الله - (260-324هـ)، ثم بعد ذلك الادّعاء بأن هذه " الطرق الصوفية " المنتشرة في ربوع البلاد هي المسلك الضروري لاكتمال هذه المعادلة البديلة التي يُراد لها أن تكون دستور التدين في الجزائر. ولابد من التأكيد أن مذهب الإمام مالك هو أحد أعمدة علم السلف وأهم المذاهب الإسلامية في تاريخ التشريع الإسلامي، وهو ليس مذهباً فقهياً فحسب كما تريد هذه الثلّة صاحبة تلك المعادلة الآتفة الدُّكر؛ لأن الإمام مالكا باعتباره أحد أئمة السلف يتميز بكل مميزات السلف ومنها الاعتقاد أيضا، ويُغفل بعض الدارسين الحديث عن عقيدة مالك المعروفة بالإجمال والتفصيل حتى ليظن البعض القليل أن المذهب المالكي مذهب فقهي لا علاقة له بالمعتقد. والبين الواضح لكل عاقل وناقل صحيح النقل سليم العقل استحالة أن يكون المالكي مرجئيا أو مُعظّلا كما تريده تلك الجهة المخطّطة. قال ابن القاسم: قلنا لمالك: الإيمان قول وعمل أو قول بلا عمل؟ قال مالك: بل قول وعمل. وقال أشهب بن عبد العزيز: قال مالك: أقام الناس نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم أمروا بالبيت الحرام فقال تعالى: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني صلاتكم إلى بيت المقدس. قال مالك: وإني لأذكر هذه الآية قول المرجئة إن الصلاة ليست من الإيمان. وفي الجامع لابن أبي زيد القيرواني قال مالك: الإيمان قول وعمل. وقال القاضي عياض: قال غير واحد: سمعت مالكا يقول: الإيمان قول وعمل. ... وقول مالك هنا هو قول السلف قاطبة. قال ابن عبد البر: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا على أن الطاعات لا تسمى إيمانا. قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار. وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة.

- وأما المسألة الثانية: وهي مسألة الصفات فالإمام مالك يلتزم فيها مذهب السلف تبعاً لمنهجه في إثبات العقيدة من "الكتاب والسنة" والحض على الاتباع والتحذير من الابتداع والتقليد، وقد اشتهر عنه قوله في الاستواء: إنه معلوم، وإن كيفه مجهول، والسؤال عنه بدعة، كما يروى هذا القول أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها، وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك. وصفة علو الله عز وجل التي يثبتها مالك والسلف والأشعري، وقبل ذلك أثبتتها عشرات الأدلة من الكتاب والسنة الصريحة التي لا تقبل التأويل أصلاً، هذه الصفة هي التي تكشف حقيقة النزعة التكفيرية التي يتميز بها المذهب الكلامي الذي يراد إصافه بعقيدة مالك والمالكية الأصلية. ولم يكن من المعقول نقل مذهب مالك في لأحكام العملية دون القضايا العلمية العقيدية فحسب، فالإسلام عقيدة أولاً ثم شريعة، فقد مكث المغرب الإسلامي والأندلس طيلة الأربعة القرون الأولى على عقيدة السلف التي كانت لصيقة بمذهب مالك الفقهي، غير أن المذهبية المتعصبة التي حدثت فيما بعد أرادت أن تضع مُسَلِّمَةً خاطئة أساسها الفصل بين الاعتقاد والعمل، وهذا الفصل في حد ذاته بدعة خطيرة حدثت في المجتمع الإسلامي سيما بعد نهاية القرن الرابع الهجري عندما تطور الفكر الإرجاني بتشجيع رسمي من بعض الدول التي ظهرت آنذاك كدولة السلجوقية ودولة الموحدين بقيادة ابن تومرت حيث صار المالكيون لا يعرفون من كتب المذهب إلا (المدونة) أو (المختلطة) أو (العُتبية)، وتم عزل الموطأ الذي هو كتاب المذهب الأول، لأنه يحتوي على أدلة التشريع المتمثلة في النصوص الحديثية وآثار السلف، وليس من المنهجية العلمية في شيء أن يلزم المتبع لمذهب مالك العقيدة الأشعرية، وجمهور متأخري الأشاعرة يُكفِّرون مثبتي الصفات على طريقة الإمام مالك رحمه الله الذي رفض أن يجلس في حلقة من يتكلم في الصفات على غير طريقة السلف. وأما فيما يتعلق بأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله (260-324هـ) فقد ذكر ابن كثير أنه مرَّ بثلاث مراحل في معتقده، مرحلة الاعتزال ثم مرحلة إثبات الصفات العقلية السبع، وأخيراً مرحلة رجوعه التام إلى معتقد السلف حيث ألف كتابه (المقالات) الذي يصرِّح فيه أنه يقول بكل أقوال أهل السنة وأصحاب الحديث، وكذلك كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) هذا الكتاب الذي يُشكِّك خصوم العقيدة السلفية في صحة نسبه إلى الأشعري، وأنه آخر مؤلفاته، والصحيح أنه ثابت النسبة إليه، وممن نسب كتاب (الإبانة) إلى الأشعري ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) والحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد، والحافظ الذهبي في كتابه (العلو للعلي الغفاري)، وابن فرحون المالكي في كتابه (الديباج المذهب)، وابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب)، والسيد مرتضى الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين)، وأبو القاسم عبد الملك بن درباس في رسالة (الذب عن أبي الحسن الأشعري)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتوى الحموية الكبرى)، وابن القيم في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية). (فهؤلاء جميعاً وغيرهم يؤكدون صحة نسبة (الإبانة) إلى صاحبها أبي الحسن الأشعري، وأنها آخر تواليفه التي تضمَّنت عقيدته التي مات عليها رحمه الله. قال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: أبو الحسن الأشعري كبير أهل السنة بعد الإمام أحمد بن حنبل وعقيدته وعقيدة الإمام أحمد بن حنبل واحدة لا شك في ذلك ولا ارتياب، وبه صرح الأشعري في تصانيفه. ومن العلماء الذين ذكروا رجوع الأشعري إلى عقيدة السلف ابن عساكر الدمشقي في (التبيين)، وأبو بكر إسماعيل الأزدي القيرواني المعروف بابن عزرة، وابن خلكان الشافعي في الوفيات وأبو الفداء إسماعيل بن كثير في البداية والنهاية، وشمس الدين الذهبي في كتابه (العلو)، وابن فرحون المالكي في (الديباج)، وغيرهم.

ولأجل الخروج من إشكالية علاقة الأشعري بمن جاؤوا بعده لابد من تحديد مصطلح الأشعرية، لأنها كلمة تعني النسبة إلى الأشعري، وهذا يؤدي إلى التباسٍ وتدلّيسٍ واضحٍ مما حدا ببعض العلماء إلى استعمال مصطلح الأشعرية الكلابية، اعتماداً على المرحلة الثانية من تطور عقيدة الأشعري، هذه المرحلة هي التي يتبناها الأشاعرة بعد الأشعري، سيما في باب الصفات ولم يستعمل البعض الآخر كلمة الأشعرية بل استعمل مصطلح الجهمية كما فعل ابن القيم في بعض كتبه، وذلك لاشتراكهم مع الجهمية في مسألة الإيمان ونفي الصفات الإلهية والجبر. ولأجل إزالة كل التباس فإننا نقترح استعمال مصطلح "الأشاعرة الجهمية"، ونحن هنا بالضرورة نُفرِّق بين الأشعري والأشعرية، وذلك ما يؤكد جملته ما بأيدينا من مؤلفات الأئمة الذين جاؤوا بعد الأشعري حيث أن المذهب الأشعري لم يُوصَل ولم ينتشر إلا بعد ظهور أئمة من أمثال "الباقلاني" و"الجويني" و"أبي حامد الغزالي"، ثم "الرازي" و"أبي بكر بن العربي" و"الأمدي" و"الشهرستاني" و"عبد القاهر البغدادي" وغيرهم، وأما متأخرو الأشاعرة إلى يومنا هذا فإن بُعدهم عن عصر الأئمة جعلهم يتيهون في عقائد هي مزيج من الحق والباطل، وبغض النظر عن

رجوع كثير من هؤلاء الأئمة إلى عقيدة السلف في أواخر أعمالهم كما هو ثابت ومؤكد؛ فإن هذا الفرق والتفريق بين الأشعري والأشعرية يظهر جليا من خلال مقارنة علمية عادية بين نصوص أبي الحسن الأشعري ونصوص مؤلفات أئمة الأشعرية المشهورة، هذا إذا لم نُقل مقارنة هذه النصوص بنصوص "الكتاب والسنة"، كما أن هذا التفريق تتسع هوته عندما نصل إلى مؤلفات متأخري "الأشاعرة الجهمية" مثل مؤلفات "محمد بن يوسف السنوسي" (ت 895هـ)، كأم البراهين وشروحها وحواشيها، وأخيرا عندما وصلت هذه الأشعرية المزعومة إلى مرحلة الجمود والتقليد والبعد الكبير عن هدي "الكتاب والسنة" حيث امتزجت العقيدة بالتصوف وبيع بعض السلوكات والتقاليد المنافية للعبادات الشرعية.

ومن هذه المرحلة الرديئة جدا تُريد تلك الثلثة المذكورة استخراج مرجعية دينية للجزائريين مثلما يقترحه بعضهم من أصحاب المتون المقلدة (مالكي أشعري على طريقة الجنيد السالك)، حيث يمتزج الجبر بالإرجاء البدعتان اللتان لم يعرف المجتمع الإسلامي أخطر منهما على الإطلاق، حيث تُعطل "أحكام الشريعة" بالإرجاء وتنتفي "الحكمة من الثواب والعقاب" بعقيدة الجبر حيث لا فرق بين الطاعة والمعصية، ومع ابتعاد متأخري "الأشاعرة الجهمية" عن عقيدة مالك والأشعري وعقيدة السلف فقد كان بعض أسلاف الأشاعرة ومنهم بعض شيوخ الأشعري أقرب إلى عقيدة السلف لقرب عهدهم بهم مثل: "ابن كلاب"، و"الحارث المحاسبي"، و"أبي العباس القلانسي"، فقد كانوا يثبتون صفة علو الله عز وجل والصفات الخيرية التي ينكرها هؤلاء المتأخرون ويكفرون من يثبتها معارضين بذلك صريح الكتاب والسنة الصحيحة.

وهنا نعود إلى التذكير بتلك النزعة التكفيرية التي أشرنا إليها سابقا حيث تظهر خطورة تلك المرجعية الدينية المقترحة التي بدأت بعض الدوائر المعنية بتنفيذها بأسلوبٍ شبيه نوعا ما بأساليب "محاكم التفتيش البابوي المتعصبة"، والتي يذهب ضحيتها عوام هذه الأمة المرحومة. فمن المعلوم في كتب علم الكلام أن أول واجب على المكلف "الاستدلال والنظر" وأنهم يسمون إيمان العوام الفطري تقليدا، وأغلب المتكلمين على القول بتكفير المُقلد في الاعتقاد، وهذا ما يؤدي إلى تكفير أغلب المسلمين الذين هم عوام، وبعضهم تورعوا عن التكفير ولكن قالوا بتفسيق المُقلد أي العامي وعصيانه بتركه الاستدلال العقلي. قال البغدادي: قال أصحابنا: كل من اعتقد أركان الدين تقليدا من غير معرفة بأدلتها ننظر فيه فإن اعتقد ذلك مع تجويز ورود شبهة تُفسد معتقده فهو كافر ليس بمؤمن إجماعا!! واختلفوا في من اعتقد عن تقليد مع اعتقاده أنه ليس في الشبهة ما يُفسد معتقده فالجمهور صحح إيمانه ولكنه عاص بترك الاستدلال، وترجى له الشفاعة والغفران .

وممن يرى تكفير العوام محمد بن يوسف السنوسي الذي تحتل مؤلفاته مكانة مرموقة عند متأخري "الأشاعرة الجهمية" حيث امتزجت العقيدة بالتصوف المنحرف، يقول السنوسي: من ثبتت إشارته ودلت عبارته ولاحت ولايته لا ينبغي الإنكار عليه في حال أفعاله كيف ما كانت. ويقول أيضا في ترجيح عدم صحة إيمان المُقلد: الحق الذي يدل عليه الكتاب والسنة - في زعمه - وجوب النظر الصحيح مع التردد في كونه شرطا في صحة الإيمان أو لا والراجح أنه شرط في صحته. فالمُقلد (العامي) عند جمهور "الأشعرية الجهمية" هو بين الكفر والفسوق والعصيان .

وأحسن من هذا المذهب ما ذهب إليه بعض أئمة الماتريدية من أن إيمان المُقلد صحيح من غير عصيان.

وأمام خطورة هذه الأفكار فقد تكفل بعض العلماء والفلاسفة والمتكلمين بالرد على هذه الطروحات المتناقضة حيث كان "ابن رشد" على سبيل المثال يرى أن علم الكلام لا يصلح للعلماء ولا يفهمه العوام، لأنه ليس برهانيا ولا شرعيا، حيث توقف في دائرة الجدل ولم يتخطاها إلى دائرة البرهان حيث بقيت الفرق الكلامية على رأسها "الأشعرية الجهمية" في مستنقع السوفسطائية. ومن أسس هؤلاء الأشاعرة تكفير من يثبت علو الله عز وجل وتكفير من يثبت صفات الرحمن على طريقة مالك والسلف والأشعري أيضا واعتباره مُشبهًا ومُجسما. ونشير هنا أنه من علامات الجهمي أنه يصف من يثبت الصفات على طريقة السلف مُشبهًا ومُجسما. زد على ذلك تكفير هؤلاء لمن يقول بالعلية والسببية (ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة)، حيث اعتبروا أن النار ليست علة الإحراق، وأن الأكل ليس علة الشبع...إلخ.

ومكمنُ الخطورة في هذه العقيدة هو منافاتها للروح العلمية لهذا العصر حيث الاستكشافات الباهرة للقوانين والعلاقات السببية بين ظواهر الكون الذي خلقه الله وخلق نواميسه وقوانينه، ومن خلال النظر فيها نكتشف عظمة الله عز وجل وتوحيده. قال الغزالي: ومذهب أهل الحق أن المؤثر هو قدرة الله تعالى وأن الأسباب لا أثر لها والله أعلم. وقال: الاقتران بين ما يُعتَقَد في العادة سببا وبين ما يُعتَقَد مسببا ليس ضروريا عندنا. وقال أيضا: ليس الجزُّ سببا في الموت ولا الأكل سببا للشبع ولا النار علة الإحراق ولكن الله يخلق الإحراق والموت والشبع عند جريان هذه الأمور لا بها.

كما أنكر الأشاعرة كل "لام" تعليل في القرآن وقالوا: إن كونه يفعل شيئا لعلته ينافي كونه مختارا مريدا، وبعضهم يُسمي ذلك نفي الغرض عن الله، ويعتبرونه من لوازم التوحيد والتنزيه. كما أنكر الأشاعرة الحكمة والغرض والتعليل في أفعال الله عز وجل. قال الأمدي: مذهب أهل الحق أن الباري تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الإبداع إليها ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر لم يكن لغرضٍ قاده إليه ولا لمقصود أوجب الفعل عليه؛ بل الخلق وأن لا خلق له جانزان، وهما بالنسبة إليه سيان.

وأما عقيدة الجبر فالباحث في مفهوم الكسب عند الأشاعرة يجده يتأرجح في اضطراب كبير بين محاولة إثبات حرية الاختيار والجبر، أما "فخر الدين الرازي" فقد صرح بالجبر في بعض مؤلفاته مثل (المباحث المشرقية)، ومما يرجح جبرية الكسب الأشعري مسألة جواز التكليف بما لا يطاق ووقوعه التي يقول بها "الأشاعرة الجهمية"، وكذلك ردُّ "أبي إسحاق الإسفرائيني" على "الجويني" الذي حاول أن يثبت حرية الفعل الإنساني في كتابه (العقيدة النظامية)، حيث اعتبر رأيه هذا من تأثيرات المعتزلة عليه، مع أن قول الجويني هو الصحيح كما يؤكد ابن القيم في كتابه (شفاء العليل).

هذا غيضٌ من فيض هذه المعتقدات المُحدثة التي تمثل خطرا على العقيدة الإسلامية التوفيقية التي لا تؤخذ إلا من مصدرين معصومين هما الكتاب والسنة الصحيحة، وكان من الواجب في جميع عصور الأمة الإسلامية أن يوكل الأمر إلى العلماء الذين يسلكون طريق الالتزام بالمنهج العلمي الشرعي لا عن طريق تقليد أقوال الرجال الذين يصيبون ويخطئون وليكن قدوتهم قول مالك رحمه الله: كلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم. وكما قال الشافعي رحمه الله: إذا رأيت قولي يخالف قوله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي عرض الحائط.

وعلى رجال العلم ودعاة الإسلام التنبيه إلى تأثير السلطات المتعاقبة على العقيدة الإسلامية، فقد حاول الكثير من الزعماء توجيه عقائد المسلمين بما يوافق سياساتهم حيث كانت بدعة الجبر والإرجاء الأكثر حظوةً باهتمام الحكام عبر التاريخ الإسلامي فقد رأوا أنّ نشر البدع الاعتقادية لا يتم على أحسن وجه إلا بالصاقها بالأئمة الأعلام كمالك والأشعري مثلما مرّ معنا في هذا المقال، وعلى الدوائر العلمية في الكليات والجامعات المتخصصة وما تملكه من أساتذة وباحثين ذوي الكفاءات العالية أن تسحب البساط من تحت أقدام ذوي التموقعات السياسية والمقاصد الحزبية الضيقة حفاظا على عقيدة المجتمع التي هي أساس وحدته وتضامنه. والله الهادي إلى سواء السبيل. بتصرف عن موقع نتي د/ خميس بن عاشور. كلية العلوم الإسلامية و العلوم الاجتماعية . جامعة باتنة الجزائر.

رأي الامام مالك في التصوف والمتصوفة :

قال المسيبي كنا عند مالك وأصحابه حوله . فقال رجل من نصيبين يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيرا ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون فقال مالك أصبيان هم ؟ قال : لا . قال : أمجائين هم ؟ قال : لا ، قوم مشايخ . قال مالك : ما سمعت أن أحدا من أهل الاسلام يفعل هذا . قال الرجل بل يأكلون ثم يقومون ويرقصون نواب . ويلطم بعضهم رأسه وبعضهم وجهه . فضحك مالك ثم قام . ودخل منزله . فقال أصحاب مالك للرجل : يا هذا ، أدخلت والله مشقة على صاحبنا ، لقد جالسناه نيفا وثلاثين سنة ، فما رأينا ضحك إلا هذا اليوم .

أخرج ابن عبد البر عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال : (كان مالك بن أنس يقول : الكلام في الدين أكرهه ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك ، ولا يحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالكلام أحب إليّ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل) . .

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن نافع قال : (سمعت مالكا يقول : لو أن رجلاً ركب الكبائر كلها بعد ألا يشرك بالله ثم تخلى من هذه الأهواء والبدع - وذكر كلاماً - دخل الجنة) . وأخرج الهروي عن إسحاق بن عيسى قال : (قال مالك : من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمايا أفسس ومن طلب غريب الحديث كذب) .

وأخرج الخطيب عن إسحاق بن عيسى قال : (سمعت مالك بن أنس يعيب الجدل في الدين ويقول : كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أردنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم) .

وأخرج الهروي عن عبد الرحمن بن مهدي قال : (دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال : لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد ، لعن الله عمرو بن عبيد فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام ، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع) .

وأخرج الهروي عن أشهب بن عبد العزيز قال : (سمعت مالكا يقول : إياكم والبدع ، قيل يا أبا عبد الله ، وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان) .

وأخرج أبو نعيم عن الشافعي قال : (كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال : أما إني على بيّنة من ربي وديني ، وأما أنت فأذهب إلى شاك فخاصمه) .

روى ابن عبد البر عن محمد بن أحمد بن خويز مناد المصري المالكي قال في كتاب الإجازات من كتابه الخلاف : قال مالك لا تجوز الإجازات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم وذكر كتباً ثم قال : وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ اجارة في ذلك) .

كان الإمام رضي الله عنه مقتدياً بالسنة المطهرة التي كان عليها النبي وصحابته الكرام وأهل بيته، وكان مولده بالمدينة المنورة وتفقهه على علمائها سبباً في اطلاعه بالسنة النبوية المطهرة وأحوال أهل مهاجر النبي فكان على عقيدة التنزيه لله عن مشابهة الخلق وعن المكان وعن الهيئة والصورة والحركة والانتقال والتغير.

وكان يقول: المرء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد.

وقيل له : الرجل له علم بالسنة أيجادل عنها ؟ قال: لا. ولكن ليخبر بالسنة فإن قيل (منه وإلا سكت وقال الشافعي : كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما إني على بيّنة من ديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه وورد عنه أنه انصرف يوماً إلى المسجد فلحقه رجل يتهم بالإرجاء فقال: يا أبا عبد الله اسمع مني شيئاً أعلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي . فقال: احذر أن أشهد عليك . قال: والله ما أريد إلا الحق اسمع فإن كان صواباً فقل به، أو فتكلم ، قال : فإن غلبتني ؟ قال : اتبعني . قال : فإن غلبتك ؟ قال : أتبعك . قال: فإن جاء رجل فكلّمناه فغلبنا ؟ قال: اتبعناه . فقال له مالك: يا عبد الله بعث الله محمداً بدين واحد وأراك تنتقل ، وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل .

وكان الإمام مالك كثيراً ما يردد قول عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله، وولاية الأمر بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من

اهتدى بها، فهو مهتد، ومن استنصر بها، فهو منصور، ومن تركها، اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصله جهنم وساءت مصيراً.

وجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله {الرحمن على العرش استوى} [طه: ٥] كيف استوى؟

فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرخضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: كيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج. وورد عنه قوله: رأيي فيهم أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا، يعني القدرية.

وكان (رحمه الله) يقول: من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في شيء المسلمين ثم تلا قوله تعالى: " (ما أفاء الله ...) الحشر: 7]. حتى أتى قوله (والذين جاعوا من بعدهم ...) [الحشر: 10] الآية. فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له في الفيء حق.

كثرة عبادة الإمام مالك: قال أبو مصعب: "كان مالك يطيل الركوع والسجود في ورده، وإذا وقف في الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيء". وقالت فاطمة بنت مالك: "كان مالك يصلي كل ليلة حزبه، فإذا كانت ليلة الجمعة أحيها كلها".

قال ابن المبارك: "رأيت مالكا فرأيت من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة كانت بينه وبين الله، وذلك أني كثيراً ما كنت أسمعه يقول: من أحب أن يفتح له فرجة في قلبه، وينجو من غمرات الموت، وأهوال يوم القيامة، فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية." فرزق الهيبة....

شيوخ الإمام مالك:

نافع بن أبي نعيم القارئ، وسعيد المقبري، والزهري، وابن المنكدر، ووهب بن كيسان، وعامر بن عبد الله بن الزبير، وخلق كثير سواهم. وكان ملازماً ابن هرمرز راوية أبي هريرة. وقد قال ابن هرمرز لجارية لما سأها من الباب قالت ليس من أحد الا ذلك الاشقر قال ابن هرمرز ادخله فذاك اعلم الناس. كما لازم نافعا حتى كف بصر نافع وظل مصاحباً له يقوده. وقيل ان المدينة لم تدخلها بدعة الى عصر مالك.

ومن أبرز شيوخه ربيعة الرأي و الزهري ويحيى بن سعيد الانصاري وصفوان بن سليم. ومالك هو وريث فقه الفقهاء السبعة سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد بن أبي بكر وخارجة بن زيد و أبو بكر بن حزم وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة شاعر الفقهاء وفقه الشعراء كما يقول ابن عبد البر. وفقهه فقه أهل المدينة. وهؤلاء الفقهاء السبعة الذين أخذ عنهم مالك العلم والفقهاء كانوا بالمدينة في عصر واحد، وعنهم انتشر العلم والفتيا في الدنيا، وقد جمعهم بعض العلماء في بيتين فقال:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة لأن الفتوى بعد الصحابة (رضي الله عنهم) صارت إليهم وشهروا بها، وكان في عصرهم جماعة من العلماء مثل سالم بن عبد الله وأمثلة، ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة وقد تلقى فقه هؤلاء السبعة ابن شهاب ونافع مولى ابن عمر وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان، وربيعه الرأي، ويحيى بن سعيد. وقد كان للفقهاء السبعة وتلامذتهم الأثر الكبير في تأسيس الفقه المدني وتوطيد أركانه، ولما كان الإمام مالك قد ذكر هؤلاء السبعة بأنهم الفقهاء وحملة العلم وغيرهم تبع لهم، فيستحسن أن نتعرف عليهم، وذلك لما تركوا من آثار وبصمات كان لها الأثر في بلورة شخصية الإمام مالك العلمية ونزعتها الفكرية، سواء من خلال بناء فقهه على

آثارهم أو تتلمذه على تلاميذهم، ومن لازمهم ونهلوا عنهم ، وكلها أثرت تأثيراً واضحاً في منهجية الإمام مالك وطريقة تفكيره.

01 أولاً : سعيد بن المسيب أبو محمد سيد التابعين ، وعالم أهل المدينة جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، ويعد أرفعهم مكانة ومنزلة ، ، التقى بطائفة كبيرة من الصحابة وأخذ عنهم وتلقى عنهم ، وأخص ما كان يطلبه قضايا النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) ، وأكثر من الرواية عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، وتلقى فقه عمر عن أصحابه فكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته ، حتى عد رواية فقه عمر ، وحامل علمه كما ذكر ذلك عنه ابن القيم. وعليه فقد بنى ابن المسيب فقهه على القرآن والحديث وأقضية النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، وإذا أعوزه أن يجد جواباً عن المسألة في الأصول السابقة اجتهد برأيه المبني على الأصول السابقة.

02 ثانياً : عروة بن الزبير بن العوام ، ولد في خلافة عثمان (رضي الله عنه) ، كان عالماً صالحاً لم يخض في شيء من الفتن ، وكان منصرفاً لطلب الفقه والحديث ، وكان في الحديث كما قال تلميذه الزهري : بحراً لا تكدره الدلاء ، وإذا كان ابن المسيب أفقه التابعين بالمدينة ، فقد كان عروة أغزرهم حديثاً ، وقد تلقى الفقه والحديث عن طائفة من الصحابة ، وأخصهم خالته عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) وكان أعلم الناس بحديثها .

03 ثالثاً : أبو بكر بن عبد الرحمن من سادات التابعين، وكان يسمى راهب قريش ، ولد في خلافة عمر (رضي الله عنه) ، روى عن عائشة وأم سلمة (رضي الله عنهما) ، وكان فقهياً محدثاً يغلب على فقهه الأثر .

04 رابعاً : القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق كان من سادات التابعين، وكان من أفضل أهل زمانه، روى عن جماعة من الصحابة، (رضي الله عنهم)، وتلقى الحديث والفقه عن عمته عائشة (رضي الله عنها)، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) وروى عنه جماعة من كبار التابعين . قال يحيى بن سعيد: ما أدركنا أحداً فضله على القاسم بن محمد. وقال مالك: كان القاسم من فقهاء هذه الأمة .

05 خامساً : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ابن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي، (رضي الله عنه)، وهو من أعلام التابعين، لقي خلقاً كثيراً من الصحابة، (رضوان الله عليهم)، وسمع من ابن عباس وأبي هريرة وأم المؤمنين عائشة، (رضي الله عنهم) أجمعين، وروى عنه أبو الزناد والزهري وغيرهما، وقال الزهري : أدركت أربعة بحور، فذكر فيهم عبيد الله المذكور، وقال : سمعت من العلم شيئاً كثيراً فظننت أني قد اكتفيت حتى لقيت عبيد الله فإذا كآني ليس في يدي شيء، وقال عمر بن عبد العزيز: لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا ، وقال: والله إنني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت المال، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك فقال: أين يذهب بكم، والله إنني لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف، إن في المحادثة تلقياً للعقل، وترويحاً للقلب، وتسريحاً للهمم، وتنقيحاً للأدب. وكان عالماً ناسكاً ، وكانت وفاته سنة تسع وتسعين، وقيل ثمان وتسعين للهجرة بالمدينة كان عالماً ثقة .

06 سادساً : سليمان بن يسار مولى ميمونة زوجة رسول الله عابداً ورعاً حجة ، روى عن زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وأبي هريرة ، وأمهاات المؤمنين ميمونة وعائشة وأم سلمة (رضي الله عنهم أجمعين) ، كان دقيق الفهم ، نمي علمه وفقهه بدراسة شؤون الناس ، وتعرف أحوالهم فقد كان مشرفاً على سوق المدينة ، عندما كان عمر بن عبد العزيز والياً عليها ، توفي سنة مائة للهجرة .

07 سابعاً : خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري تفقه على والده وورث علمه فغلب عليه ما اشتهر به أبوه وهو الرأي والعلم بالفرائض ، ولذلك كان خارجة قليل الحديث ، وكان يقسم للناس مواريتهم على كتاب الله تعالى. وكان مع علمه وفقهه وفتياه واتصاله بالناس في أول أمره من عباد المدينة ، ثم انفراد وأثر العزلة ولم ينشر عنه من كلامه كبير شيء ، عامة حديثه في الأقضية والأحكام .

هؤلاء هم الفقهاء السبعة كانوا هم ومن في طبقتهم ممن في مستواهم العلمي المدرسة التي كونت الفقه المدني، ولقد جمعت هذه الشخصيات السبع قواسم مشتركة تمثلت بشكل أساس في الإفتاء بما أفتى به السابقون من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم والسير على منهاجه ، والاجتهاد بالرأي فيما لم يجدوا فيه فتوى للسابقين في حدود المنهج الذي سار عليه الصحابة (رضوان الله عليهم) .

ولقد تلقى فقه هؤلاء ابن شهاب وربيعه الرأي وسائر طبقتهما ، وتلقى مالك على هذه الطبقة الأخيرة ، فكان في شيوخه من يغلب عليه الرأي ، ومنهم من يغلب عليه الحديث والأثر ، وقد جمع مالك في فقهه الرأي و الأثر . وحدث عن العراقيين كأيوب السختياني وحמיד الطويل .

وقد افتى مالك أحدهم يوماً فقال له ممن لك بهذا العلم قال مالك ما جالسنا السفهاء قط . قال أحمد قال مالك ما جالسنا سفها قط ولم يصح هذا لغيره .

وطالبه أحدهم بالدليل بعد أن أفتاه مالك فقال له أحدثك عن نافع عن ابن عمر فليس لك الا أن ترفع الستار فتري رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- وكان قد طلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم وسالم . فأخذ عن نافع ، وسعيد المقبري ، وعامر بن عبد الله بن الزبير ، وابن المنكر ، والزهري ، وعبد الله بن دينار ، وخلق ، وإلى جانب كل واحد منهم ما روى عنه في الموطأ ، كم عدده . وهم : إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، أيوب بن أبي تميمة السختياني عالم البصرة ، أيوب بن حبيب الجهني مولى سعد بن مالك ، إبراهيم بن عقبة ، إسماعيل بن أبي حكيم ، إسماعيل بن محمد بن سعد ، ثور بن زيد الديلي ، جعفر بن محمد ، حميد الطويل ، حميد بن قيس الأعرج ، خبيب بن عبد الرحمن ، داود بن الحصين ، داود أبو ليلى بن عبد الله في القسامة ، ربيعة الرأي ، زيد بن أسلم ، زيد بن رباح ، زياد بن سعد زيد بن أبي أنيسة ، سالم أبو النضر ، سعيد بن أبي سعيد ، سمي مولى أبي بكر ، سلمة بن دينار أبو حازم ، سهيل بن أبي صالح ، سلمة بن صفوان الزرقى ، سعد بن إسحاق ، سعيد بن عمرو بن شرحبيل ، شريك بن أبي نمر ، صالح بن كيسان ، صفوان بن سليم ، صيفي مولى ابن أفلح ، ضمرة بن سعيد ، طلحة بن عبد الملك ، عامر بن عبد الله بن الزبير ، عبد الله بن الفضل ، عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك ، عبد الله بن بكر بن حزم ، عبد الله بن يزيد مولى الأسود ، عبد الله بن دينار ، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان . عبد الرحمن بن القاسم ، عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عبد الله بن عبد الرحمن أبو طوالة ، عبيد الله بن سليمان الأغر ، عبيد الله بن عبد الرحمن ، عبد الرحمن بن حرملة ، عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عبد المجيد بن سهيل ، عبد ربه بن سعيد ، عبد الكريم الجزري ، عطاء الخراساني ، عمرو بن الحارث ، عمرو بن أبي عمرو ، عمرو بن يحيى بن عمار ، علقمة بن أبي علقمة ، العلاء بن عبد الرحمن ، فضيل بن أبي عبد الله ، قطن بن وهب ، الزهري ، ابن المنكر ، أبو الزبير ، محمد بن عبد الرحمن يتيم عروة ، محمد بن عمرو بن حلحلة ، محمد بن عمارة ، محمد بن أبي أمامة ، محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة ، محمد بن أبي بكر الثقفي ، محمد بن عمرو بن علقمة ، محمد بن يحيى بن حبان ، محمد بن بكر بن حزم ، أبو الرجال محمد ، موسى بن عقبة ، موسى بن ميسرة ، موسى بن أبي تميم ، مخرمة بن سليمان ، مسلم بن أبي مريم ، المسور بن رفاعة ، نافع ، أبو سهيل نافع بن مالك ، نعيم المجرم ، وهب بن كيسان ، هاشم بن هاشم الواقصي ، هلال بن أبي ميمونة ، هشام بن عروة ، يحيى بن سعيد الأنصاري ، يزيد بن خصيفة ، يزيد بن أبي زياد المدني ، يزيد بن عبد الله بن الهاد ، يزيد بن رومان ، يزيد بن عبد الله بن قسيط ، يونس بن يوسف بن حماس ، أبو بكر بن عمر العمري ، أبو بكر بن نافع ، الثقة عنده ، الثقة .

فعنهم كلهم ست مائة وستة وثلاثون حديثاً ، وستة أحاديث عن لم يسم ، واختلف في ذلك في أحد وسبعين حديثاً .

وممن روى عنه مالك مقاطيع : عبد الكريم بن أبي المخارق ، ومحمد بن عقبة ، وعمر بن حسين ، وكثير بن زيد ، وكثير بن فرقد ، ومحمد بن عبيد الله بن أبي مريم ، وعثمان بن حفص بن خلدة ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، ويعقوب بن يزيد بن طلحة ، ويحيى بن محمد بن طحلاء ، وسعيد بن عبد الرحمن بن رقيش ، وعبد الرحمن بن المجبر ، والصلت بن زييد وأبو عبيد حاجب سليمان ، ومحمد بن يوسف ، وعفيف بن عمرو ، ومحمد بن زيد بن قنفذ ، وأبو جعفر القارئ ، وعمر بن محمد بن زيد ، وصدقة بن يسار المكي ، وزياد بن أبي زياد ، وعمارة بن صياد ، وسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت ، وسعيد بن عمرو بن سليم ، وعروة بن أذينة ، وأيوب بن موسى ، ومحمد بن

أبي حرملة ، وأبو بكر بن عثمان ، وجميل بن عبد الرحمن المؤذن ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد ، وعمرو بن عبيد الله الأنصاري ، وإبراهيم بن أبي عتبة ، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند ، ويزيد بن حفص ، وعاصم بن عبيد الله ، وثابت الأحنف ، وعبد الرحمن بن أبي حبيب ، وعمر بن أبي دلاف ، وعبد الملك بن قريز ، والوليد بن عبد الله بن صياد ، وعائشة بنت سعد .

تلامذة الإمام مالك :

حدث عنه خلق من الأئمة، منهم السفينان، وشعبة، وابن المبارك، والأوزاعي، وابن مهدي، وابن جريج، والليث، والشافعي، والزهري شيخه، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهو شيخه، ويحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن يحيى الأندلسي، ويحيى بن يحيى النيسابوري.

حدث عنه من شيوخه : عمه أبو سهيل ، ويحيى بن أبي كثير ، والزهري ، ويحيى بن سعيد ، ويزيد بن الهاد ، وزيد بن أبي أنيسة ، وعمر بن محمد بن زيد ، وغيرهم .

ومن أقرانه : معمر ، وابن جريج ، وأبو حنيفة ، وعمرو بن الحارث ، والأوزاعي ، وشعبة ، والثوري ، وجويرية بن أسماء ، والليث ، وحماد بن زيد ، وخلق ، وإسماعيل بن جعفر ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن المبارك ، والدراوردي ، وابن أبي الزناد ، وابن علي ، ويحيى بن أبي زائدة ، وأبو إسحاق الفزاري ، ومحمد بن الحسن الفقيه ، وعبد الرحمن بن القاسم ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ومعن بن عيسى القزاز ، وعبد الله بن وهب ، وأبو قررة موسى بن طارق ، والنعمان بن عبد السلام ، ووكيع ، والوليد بن مسلم ، ويحيى القطان ، وإسحاق بن سليمان الرازي ، وأنس بن عياض الليثي ، وضمرة بن ربيعة ، وأميرة بن خالد ، وبشر بن السري - ص 53 - الأفوه ، وبقية بن الوليد ، ويكر بن الشرود الصنعاني ، وأبو أسامة ، وحجاج بن محمد ، وروح بن عباد ، وأشهب بن عبد العزيز ، وأبو عبد الله الشافعي ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وزيد بن عبد الرحمن شبطون الأندلسي ، وأبو داود الطيالسي ، وأبو كامل مظفر بن مدرك ، وأبو عاصم النبيل ، وعبد الرزاق ، وأبو عامر العقدي ، وأبو مسهر الدمشقي ، وعبد الله بن نافع الصائغ ، وعبد الله بن عثمان المروزي عبدان ، ومروان بن محمد الطاطري ، وعبد الله بن يوسف التنيسي ، وعبد الله بن مسلمة القعنبي ، وأبو نعيم الفضل بن دكين ، ومعلى بن منصور الرازي ، ومنصور بن سلمة الخزاعي ، والهيثم بن جميل الأنطاكي ، وهشام بن عبيد الله الرازي ، وأسد بن موسى ، وأدم بن أبي إياس ، ومحمد بن عيسى بن الطباع ، وخالد بن مخلد القطواني ، ويحيى بن صالح الوحاظي ، وأبو بكر ، وإسماعيل ابنا أبي أويس ، وعلي بن الجعد ، وخلف بن هشام . ويحيى بن يحيى التميمي ، ويحيى بن يحيى الليثي ، وسعيد بن منصور ، ويحيى بن بكير ، وأبو جعفر النفيلي ، وقتيبة بن سعيد ، ومصعب بن عبد الله الزبيري ، وأبو مصعب الزهري ، وأحمد بن يونس اليربوعي ، وسويد بن سعيد ، ومحمد بن سليمان لوين ، وهشام بن عمار ، وأحمد بن حاتم الطويل ، وأحمد بن نصر الخزاعي الشهيد ، وأحمد بن محمد الأزرق ، وإبراهيم بن يوسف البلخي الماكياني ، وإبراهيم بن سليمان الزييات البلخي ، وإسماعيل بن موسى الفزاري ، وإسحاق بن عيسى بن الطباع أخو محمد ، وإسحاق بن محمد الفروي ، وإسحاق بن الفرات ، وإسحاق بن إبراهيم الحنيني ، وبشر بن الوليد الكندي ، وحبیب بن أبي حبيب كاتب مالك ، والحكم بن المبارك الخاشتي وخالد بن خدّاش المهلبی ، وخلف بن هشام البزار ، وزهير بن عباد الرؤاسي ، وسعيد بن عفیر المصري ، وسعيد بن داود الزبيري ، وسعيد بن أبي مريم ، وأبو الربيع سليمان بن داود الزهراني ، وصالح بن عبد الله الترمذي ، وعبد الله بن نافع بن ثابت الزبيري ، وعبد الله بن نافع الجمحي ، وعبد الرحمن بن عمرو البجلي الحرائي ، وعبد الأعلى بن حماد النرسي ، وعبد العزيز بن يحيى المدني ، وأبو نعيم عبيد بن هشام الحلبي ، وعلي بن عبد الحميد المعني ، وعتبة بن عبد الله اليمحمدي المروزي ، وعمرو بن خالد الحرائي ، وعاصم بن علي الواسطي ، وعباس بن الوليد النرسي ، وكامل بن طلحة ، ومحمد بن معاوية النيسابوري ، ومحمد بن عمر الواقدي ، وأبو الأحوص محمد بن حبان البغوي ، ومحمد بن جعفر الوركاني ، ومحمد بن إبراهيم بن أبي سكينه ، ومنصور بن أبي مزاحم ، ومطرف بن عبد الله اليساري ، ومحرز بن سلمة العدني ، ومحرز بن عون ، والهيثم بن خارجه ، ويحيى بن قرعة المدني ، ويحيى بن سليمان بن نضلة المدني ، ويزيد بن صالح النيسابوري الفراء .

وآخر أصحابه موتا راوي " الموطأ " أبو حذافة أحمد بن إسماعيل السهمي ، عاش بعد مالك ثمانين عاما .

ومن أشهر من روى عنه أيضاً: عبد الله بن مسلمة القعنبي، وعبد الله بن وهب، ومعن بن عيسى القزاز، وداود بن أبي زُنَيْر، وابنه سعيد، وأبو بكر وإسماعيل ابنا أبي أويس، وعبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، وعبد الله بن عبد الحكم المصري، والليث بن سعد من أصحاب مالك وعلى مذهبه ثم اختار لنفسه، وابن المعذل، وغيرهم.

ومن أبرز تلاميذه الشافعي وعبد الرحمن بن القاسم العتقي جالسه أكثر من عشرين سنة ويحي بن يحي النيسابوري الذي يروي عنه مسلم حديث مالك في صحيحه . وعبد الله بن وهب المصري والقعنبي وكثير منهم شيوخ للبخاري ومسلم .

ومن تلاميذه أسد بن الفرّات بن سنان مولى بني سليم بن قيس، كنيته أبو عبد الله. قال أبو العرب: أوله من خراسان من نيسابور. وولد بحرّان من ديار بكر سنة (142هـ). (دخل القيروان مع أبيه في جيش ابن الأشعث (سنة 144هـ) وهو ابن سنتين، ثم رحلوا إلى تونس، وبعدما حفظ القرآن اختلف إلى علي بن زياد، فلزمه وتفقه بفقهاء، ثم رحل إلى المشرق سنة (172هـ)، فلقى مالكا وواظب عليه. وسمع منه الموطأ وغيره، ثم ذهب إلى العراق فلقى أبا يوسف ومحمد بن الحسن، وغيرهما، ثم رحل بعد وفاة مالك إلى مصر، فلقى ابن القاسم وكتب عنه الأسدية، وقدم بعدها إلى القيروان. ولي قضاء القيروان سنة (203هـ)، ثم إمارة الجهاد لغزو صقلية مع ولاية القضاء، وتوفي وهو محاصر لها من جراء جراحات أصابته سنة (213هـ) ودفن هناك .

الأسدية :

تنسب الأسدية إلى أسد ابن الفرّات، وقصة تأليفها أنه ورد على الإمام مالك بعدما أخذ عن علي بن زياد وغيره بتونس، فقرأ عليه وسمع منه الموطأ وغيره، ثم ذهب إلى العراق، ويذكر في سبب ذهابه إلى العراق أنه قال: "كان ابن القاسم وغيره يجعلونني أسأل مالكا، فإذا أجابني قالوا: قل له: فإن كان كذا وكذا؟ فضاقت علي يوما، وقال: هذه سلسلة بنت سلسلة، إن كان كذا كان كذا! إن أردت فعليك بالعراق"

ولما قدم العراق لقي أبا يوسف، فأخذ عنه موطأ مالك، ولقي محمد بن الحسن، وأسد بن عمرو، وغيرهم. واختص بمحمد بن الحسن، ولزمه حتى أصبح من المناظرين من أصحابه، وزامله في سفرته إلى مكة، لمكانته عنده. فلما مات الإمام مالك قدم إلى مصر وأتى إلى ابن وهب، فنأوله مسائل أبي حنيفة، "وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك. فتورع ابن وهب وأبى. فذهب إلى ابن القاسم فأجابه إلى ما طلب".

فكان يجيبه فيما حفظ عن مالك بقوله، وفيما شك فيه يقول: أخال وأحسب وأظن، وأحيانا يجيبه باجتهاده على أصل قول مالك. وظل أسد يسأله كل يوم، حتى دون عنه ستين كتاباً، فسميت بالأسدية، فطلبها أهل مصر ودونها عنه. ثم أتى إلى القيروان فدونها عنه الناس، وحصلت له بها رئاسة كبيرة، فأنكر عليه بعضهم ما في جوابها من الظن، وخلوها من الآثار، فقالوا: جئتنا بأخال وأظن وأحسب، وتركت الآثار وما عليه السلف. فقال: "لقد كنت أسأل ابن القاسم عن مسألة فيجيبني فيها، فأقول له: هو قول مالك؟ فيقول: كذا أخال وأرى، وكان ورعاً يكره أن يهجم على الجواب".

الثاني: كتابة المدونة :

سحنون:

هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي. يكنى أبا سعيد، ويلقب بسحنون، وهو بفتح السين على قول الجمهور، وسمى سحنون باسم طائر حديد، لحدته في المسائل.

صلبية من العرب أصله شامي من حمص، قدم به أبوه سعيد في جند حمص إلى القيروان، وبها أخذ العلم من مشايخها: أبي خارجة وبهلول، وعلي بن زياد، وابن غاتم، وابن أشرس، وغيرهم.

ثم رحل إلى مصر والحجاز فسمع من ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب، وسفيان بن عيينة، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبي داود الطيالسي، ويزيد بن هارون، وابن نافع الصانغ، ومعن بن عيسى، وابن الماجشون، وغيرهم. ثم انصرف إلى إفريقية سنة (191هـ). ثم ولي القضاء بها سنة (234هـ)، وسنه إذ ذاك (74) سنة، فلم يزل قاضياً إلى أن مات سنة (240هـ)، ومولده سنة (260هـ).

أصل المدونة:

المدونة هي نسخة منقحة من الأُسدية لأسد بن الفرات، المدونة هي نسخة منقحة عن الأُسدية، أخذت الأُسدية مكانها من مجالس العلوم، وغدت حديث الناس في مواطن الدرس، فطلبها سحنون، فمنعها منها أسد، فتلطف سحنون حتى وصلت إليه، ثم ارتحل سحنون بالأُسدية إلى ابن القاسم سنة (188هـ) فعرضها عليه، فأخذها منه، ونظر إليها وتصفحها، فقال: "فيها شيء لا بد من تغييره، وضرب على كثير منها، وأبدل كثيرا"، وقد ساعد ابن القاسم على هذا العمل أن سحنون كان إماماً في الفقه، فهذب ابن القاسم المدونة معه، فأسقط منها ما كان يشك فيه من قول مالك، وأجاب فيه على رأيه، لأنه كان أملاً على أسد من حفظه، واستدرك فيها أشياء كثيرة. ولما كملت على هذا النحو، رجع بها سحنون إلى القيروان في سنة (191هـ) وأشاعها.

مصير الأُسدية:

لما كتب سحنون ما كتب عن ابن القاسم، وحدث ما حدث في الأُسدية من تغيير، أرسل ابن القاسم إلى أسد: " أن عارض كتبك بكتب سحنون، فإني رجعت عن أشياء مما رويتها عني" فأخذت أسدا الأُنفة، وكبر عليه أن يعود عما كتبه، وأبى إباء شديداً. فأهملت الأُسدية بعد ذلك وانهدمت شعلتها، وتوقف الاشتغال بها، وانتشر ذكر المدونة في الأفاق، "وعول الناس عليها وأعرضوا عن الأُسدية، وغلب عليها اسم سحنون" ومع ذلك فإن لبعض العلماء جهوداً تذكر عليها.

وقرأت أن مدونة الإمام مالك فيها 4000 أربعة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. و 36000 ستة وثلاثون ألف أثر عن الصحابة والتابعين وتابعيهم. و 40000 أربعون ألف مسألة.

انتشار المدونة:

كما سبق فإن المدونة اشتهرت وأخذت محل الأُسدية، بل إنها أربت عليها وفاتتها، قال الشيرازي: «واقصر الناس على التفقه في كتب سحنون... ونسيت الأُسدية». وهناك عدة عوامل أدت لانتشار المدونة وإهمال الأُسدية منها:

- 1- اعتماد ابن القاسم للمدونة وأمره أسد بن الفرات بالرجوع إليه، وبالأحرى غيره ممن أخذها عنه.
- 2- تداول أفكار أربعة من كبار الأئمة عليها، وهم مالك، وابن القاسم، وأسد، وسحنون، [13] مع كثرة مدارستها والاهتمام بشأنها، والتحري في كتابتها في المرة الثانية من طرف ابن القاسم وسحنون، "فالمدونة... هي ثمرة جهود ثلاثة من الأئمة: مالك بإجاباته، وابن القاسم بقياساته وزياداته، وسحنون بتنسيقه وتهذيبه وتبويبه، وبعض إضافاته".
- 3- منهج سحنون في كتابة الكتاب الذي كان يألفه المالكيون، بخلاف منهج أسد، فإنه كان متأثراً بطريقة العراقيين، ولذلك عابه بعضهم على تلك الطريقة كما سبق.
- 4- التبويب والتهذيب وترتيب المسائل في المدونة، قال في التعريف: «ورجع بها إلى القيروان في سنة إحدى وتسعين ومائة، وهي في التأليف على ما جمعه أسد أولاً غير مرتبة المسائل، ولا مرسمة التراجم، فرتب سحنون أكثرها، وبوبها على تبويب التصانيف» وبقيت أصول على اختلاطها في السماع لم يمهلها الزمن لترتيبها وتبويبها؛ ولأجل ذلك تسمى المدونة والمختلطة.

والكتب المختلطة في المدونة هي: الصيد، الذبائح، الحج الثالث، الأفضية، الشفعة، القسمة، الغصب، حريم البئر، الرهون، اللقطة، الضوال، الوديعة، العارية، الهبات، الجراحات، السرقة، المحاربين، الرجم، القذف، الديات.

وقد قام أبو المشتري سليمان بن عبد الله (ت 335هـ) بتبويب الكتب المختلطة في المدونة

5- التحلية بالآثار والشواهد والنقول، قال في التعريف "واحتج لبعض مسائلها بالآثار من روايته من موطن ابن وهب وغيره، وبقيت منها بقية لم يتم فيها سحنون هذا العمل"

6- أنها جمعت آخر قول مالك، وحادت عما شك فيه ابن القاسم، فهي بمثابة النسخة الأخيرة المصححة.

7- ذكر خلاف كبار أصحاب مالك، قال الشيرازي: «ونظر فيها سحنون نظرا آخر فهدبها وبوبها ودونها، وألحق فيها من خلاف الأصحاب ما اختار ذكره، وذيل أبوابها بالحديث والآثار» .

8- أثر تلاميذ سحنون في نشر المدونة، فقد كان له تلاميذ كثير، نشروا علمه بين الناس، أما أسد بن الفرات فلم يكن له من التلاميذ ما لسحنون، لاشتغاله بالقضاء والجهاد.

9- ذكر الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور أن من بين الأسباب التي أدت إلى رفض المالكية للأسدية هو أنها لما بنيت "على إدراج مذهب على مذهب آخر، فقد وقع فيها من الاختلاط في الأقوال، والاختلال في عزوها أمور جاءت قاذحة فيما يطلب في كتب الأحكام من الصحة المطلقة".

وهذا السبب له أهمية بالغة، فإن صحة ودقة المتون مما يلح عليه أهل هذا الشأن.

10- مكانة سحنون العلمية، فإنه كان إماما في الفقه، بصيرا بالرواية، قال ابن حارث: "قدم سحنون بمذهب مالك، واجتمع له مع ذلك فضل الدين والعقل والورع والعفاف والانقباض، فبارك الله فيه للمسلمين، فمالت إليه الوجوه، وأحبته القلوب، وصار زمانه كأنه مبتدأ قد انمى ما قبله".

وقال أبو العرب: "كان سحنون ثقة حافظاً للعلم فقيه البدن اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره: الفقه البارع والورع الصادق والصرامة في الحق والزهادة في الدنيا والتخشن في الملابس والمطعم والسماحة".

محتوياتها:

احتوت المدونة على ست وثلاثين ألف مسألة قال عياض: «ذكر بعضهم أن مسائل المدونة ست وثلاثون ألف مسألة». وزاد ابن فرحون (ت 799هـ) مائتين، قال: «في المدونة ستا وثلاثين ألف مسألة ومائتين منها أربع محووة»، وزاد الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور على هذا العدد فأوصلها إلى أربعين ألفا

وهذه المسائل تتوزع على الكتب التالية: كتاب الوضوء، والصلاة، والجنائز، والصيام، والاعتكاف بغير صوم، والزكاة، والحج، والجهاد، والصيد، والذبائح، والضحايا، والعقيقة، والنذور، وطلاق السنة، والأيمان بالطلاق، والنكاح، وإرخاء الستور، والتخيير والتملك، والرضاع، والظهار، والإيلاء، واللعان، والاستبراء، والعنق، والمكاتب، والتدبير، وأمهات الأولاد، والولاء والمواريث، والمواريث، والصرف، والسلم، والآجال، والبيوع الفاسدة، والبيعين بالخيار، والمرابحة، والغرر، والوكالات، والعرايا، والتجارة إلى أرض العدو، والتدليس بالعيوب، والصلح، وتضمين الصناع، والجعل والإجارة، وكراء الرواحل والدواب، وكراء الدور والأرضين، وكراء الأرضين، والمساقاة، والجوائح، والشركة، والقراض، والأفضية، والشهادات، والدعوى، والمديان، والتفليس، والمأذون له في التجارة، والكفالة والحماله، والحواله، والرهن، والغصب، والاستحقاق، والشفعة، والقسمة، والوصايا، والهبات، والهبة، والحبس والصدقة، والصدقة، والوديعة، والعارية، واللقطة والضوال، والأبق، وحريم الآبار، والحدود في الزنا والقذف، والرجم، والأشربة، والسرقة، والمحاربين، والجراحات، والجنائيات، والديات .

وفي بعض هذه الكتب تجد فيها الأول، والثاني، والثالث أحيانا.

للمدونة قيمة عليا عند المالكية، وأهمية كبرى، وهذا أشهر من أن ينبه عليه، وقد ذكرنا فيما سبق من الأسباب التي دعت إلى إهمال الأُسدية واعتماد المدونة، وأهم ما نذكر به هنا من الأسباب، هي أنها جمعت أقوال مؤسس المذهب وأقوال أصحابه الكبار على وجه التحري والدقة والضبط، فصارت بذلك مرجع المالكيين في الفقه، حتى سموها الأم والكتاب؛ لمنزلتها الرفيعة، قال الحطاب: «المدونة أشرف ما ألف في الفقه من الدواوين، وهي أصل المذهب وعمدته»، وقال أبو الوليد بن رشد (ت520هـ): «أصل علم المالكيين، وهي مقدمة على غيرها من الدواوين بعد موطأ مالك رحمه الله، ويروى أنه ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك، ولا بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدونة، هي عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وككتاب إقليدس عند أهل الحساب، وموضعها في الفقه موضع أم القرآن من الصلاة، تجزئ من غيرها ولا يجزئ غيرها منها».

ونظرا لهذه القيمة السنوية للمدونة فلا غرو أن يهتم بها المالكيون اهتماما كبيرا، فكم شارح لها ومختصر، وكم حافظ لها ومستظهر، وكثرة الجهود عليها تبين شدة ولوع المالكية بها.

ومن هذه الجهود:

أولا: المختصرات:

يمكن التمثيل للمبرزين في مقصد الاختصار بمالك الصغير - ابن أبي زيد، وعصريه البرادعي القرويين، ومعاصرهما ابن أبي زمنين الأندلسي، ولكل منهم ميزته في إعادة صياغة الكتاب

1. مختصر المدونة: لابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ).

2. التهذيب للبرادعي

3. المقرب في اختصار المدونة لابن أبي زمنين (ت399هـ).

ثانيا: الشروح:

وفي القرن الخامس تتابعت المهمة بمزيد من الخدمة والتحسين والإضافة الكمية والنوعية، والاهتمام بشرح الكتاب، وهنا يمكن التمثيل بالفقيهين الصقليين عبد الحق وابن يونس والفقيه التونسي اللخمي، ولئن كان غرضهم الأساس الشرح والتنقيح والإضافة أيضا فقد مارسوا عملية الاختصار وإعادة الترتيب كذلك.

1. الجامع لمسائل المدونة لابن يونس الصقلي (ت451هـ).

2. التهذيب لعبد الحق الصقلي (ت466هـ).

3. التبصرة لللخمي (ت478هـ).

ثالثا: مختلفات

وفي القرن السادس تجددت العطاءات النوعية على أيدي ثلة أبرزهم ابن بشير التونسي والمازري الصقلي والقاضي عياض المغربي، وكان لكل وضع من هذه الأوضاع هدفه وميزته الخاصة، وإن اشتركوا هم أيضا في الهدف العام مع غلبة التوجه النقدي والتصحيحي على الأولين، وغلبة فك الرموز وتحقيق الروايات وتنقيح الآراء على الأخير.

1-المقدمات الممهديات لابن رشد (ت520هـ)

2- التنبيه على مبادئ التوجيه لابن بشير التنوخي (ت526هـ)

3- التعليقة لأبي عبد الله المازري (ت536هـ)

4- التنبهات المستنبطة على الكتب المدونة و المختلطة للقاضي عياض (ت544هـ)

رابعاً: خدمات إضافة:

وقبل هؤلاء ومعهم وبعدهم بذلت جهود، ووضعت أوضاع، وألفت أنواع من التأليف متنوعة المقاصد مختلفة الأحجام.

1. تبويب السائل الكتب المختلطة: لأبي المشتري (335هـ)

2. المسائل الواقعة في المدونة في غير مواضعها لمحمد بن أحمد الأجل المكناسي : (حي سنة 684هـ)

3. تجريد المسائل الأجنبية الواقعة في غير تراجمها من المدونة لابن عبد الرفيق التونسي (ت733)

4. التوسط بين مالك وابن القاسم في المسائل التي اختلفا فيها من مسائل المدونة لقاسم بن خلف الجبيري (ت371هـ)

5. ضبط ألفاظ المدونة لعبد الحق الصقلي (466)

خامساً: الاستقرار والتراجع

لما لاح القرن السابع الهجري بدأ الوسط العلمي يحرص جل دراساته على مصدر وحيد من كل ما سبق، وهو تهذيب البرادعي، حتى صار علما على المدونة الأم، وعليه انصبت جهود المتأخرين من الشراح، وهو محور الدرس العلمي، ثم بدأ الكتاب يتراجع في ترتيب مصادر الفقه في التدريس والتأليف عندما أبدع الفقهاء في ظاهرة المختصرات، ليحتل الصدارة ضمنها المختصر الخليي.

مؤلفات الإمام مالك :

له كتاب الموطأ، ورسالة في الوعظ، وكتاب المسائل، ورسالة في الرد على القدرية، وتفسير غريب القرآن. اشتهر بالموطأ وهو أول كتاب وضعت فيه الأحاديث مصنفة ومبوبة، ومعناه الممهّد كما أنه أول كتاب ألف في الحديث والفقه معاً، واستغرق تأليفه أربعين سنة. وقد اشتمل على الكثير من الأسانيد التي حكم المحدثون بأنها أصح الأحاديث. وقال عن موطأه دعوهم، فلن يبقى إلا ما أريد به وجه الله لأن غير واحد من العلماء قد صنع موطأ كموطأه. فهذه العبارة من الإمام تشير إلى بعض الأصول التي استند إليها في اجتهاداته واستنباطاته الفقهية، وهي: السنة، وقول الصحابة، وقول التابعين، والرأي، والاجتهاد، ثم عمل أهل المدينة. ولعل أدق إحصاء لأصول المذهب المالكي هو ما ذكره (القرافي) في كتابه (شرح تنقيح الفصول)؛ حيث ذكر أن أصول المذهب هي القرآن والسنة والإجماع وإجماع أهل المدينة والقياس وقول الصحابي والمصلحة المرسلّة والعرف والعادات وسد الذرائع والاستصحاب والاستحسان.

وقد قال الشافعي في الموطأ: ما ظهر كتاب على الأرض بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك، وفي عصره قيل فيه (أيفتى ومالك في المدينة). وتسمية الموطأ مأخوذة من التوطئة وهي التهيئة والتسهيل والتمهيد، يقولون: رجل موطأ الأكناف، أي: سهل كريم الخلق، ومنهم من يقول: إن سبب التسمية مأخوذة من المواطأة، وهي الموافقة؛ لأنه عرضه على أئمة عصره فوافقوه عليه.

وسبب تأليف الكتاب كما ذكر ابن خلدون، أن الإمام مالك - رحمه الله تعالى - ألفه بطلب من أبي جعفر المنصور الخليفة المعروف المشهور، طلب من الإمام مالك أن يؤلف كتاباً ليجمع عليه الناس، وأوصاه ووجهه كيف يؤلف؟ فقال: "تجنب في ذلك رخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود، وتشديدات ابن عمر"، يقول الإمام مالك - رحمه الله تعالى - : "فعلمني كيفية التصنيف".

وقد ذكر الذهبي عن أبي مصعب الزهري واسمه أحمد بن عبيد الله وهو أحد رواة الموطأ قال سمعت مالكا يقول دخلت على أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وقد نزل ، عند فراشه دابتان ما تروثان ولا تبولان ، وجاء صبي يخرج ثم يرجع فقال لي أتدري من هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا ابني . وإنما يفزع من هيبتك .

ثم سألتني عن أشياء منها حلال ومنها حرام . ثم قال لي المنصور الخليفة العباسي أنت والله أعقل الناس ، أنت أعلم الناس . قلت لا والله يا أمير المؤمنين . قال : بلى ولكنك تكتم ولئن عشت لأكتبن علمك أو كلامك كما تكتب المصاحف ولأبعثن به إلى الآفاق ولأحملن الناس عليه .

كتاب الموطأ ثابت النسبة، مستفيض مشهور إلى مؤلفه، روي بروايات متعددة، تحمله عن الإمام مالك جمع غفير، وقرأه عليه العدد الكثير الجم، وحفظت بعض الروايات عن الإمام مالك، وبقي كثير منها إلى يومنا هذا، فالموطأ له روايات كثيرة، بلغت الموطآت بضعة عشر، تختلف هذه الموطآت في كثرة الأحاديث، وفي الترتيب تقديماً وتأخيراً، وفي كلام الإمام مالك ونقوله عن الصحابة والتابعين، فأوسع هذه الموطآت وأكثرها زيادات: رواية أبي مصعب الزهري، وهي مطبوعة في مجلدين. وأشهر الروايات وأكثرها تداولاً وعليها أكثر الشروح، واعتماد أهل العلم عليها في الغالب: رواية يحيى بن يحيى الليثي . ومن الروايات رواية محمد بن الحسن الشيباني، وقد انفردت ببعض الزيادات على رواية يحيى ، وتأتي أهمية رواية محمد من إمامة راويها وإدخاله بعض ما ينصر مذهب أبي حنيفة في أحاديث الموطأ. ومنها روايات كثيرة ذكر منها صاحب الحطة ست عشرة رواية، وأثبت بعض الزيادات التي في بعضها على بعض .

موطأ مالك من أعظم المصنفات القديمة التي هي عمدة وأصل من الأصول التي أعتمد عليها أصحاب الكتب الشهيرة، حتى قال الدهلوي في (بستان المحدثين): " إن أصل الأصول كتاب مالك، وما عداه من الكتب الستة كلها مستخرجات عليه"، لكن هذا الكلام فيه مبالغة، فكتاب مالك كتاب عظيم، وأفاد من جاء بعده منه فائدة كبرى، لكن لا يعني أنه لا يوجد في غيره ما لا يوجد فيه، بل هو كتاب إذا نسبناه إلى البخاري مثلاً وجدنا أنه شيء يسير، فضلاً عن الكتب الستة مجتمعة أو مسند أحمد، وكتاب الإمام مالك صار أصلاً لهذه الكتب، تلقته الأمة بالقبول، وخدمه العلماء، وعنوا به، وكثرت شروحه .

وأما قول الإمام الشافعي: "ما على ظهر الأرض كتاب في العلم بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك" فقد كان قبل وجود الصحيحين ، إذ لا يوجد أصح من الموطأ، ثم لما وجد الصحيحان قدما على موطأ الإمام مالك وعلى غيره من الكتب، فصار الموطأ سادس الكتب عند جمع من أهل العلم، وإن كان متقدماً عليها في الزمان، وفي إمامة مؤلفه ومكانته، لكنه في الترتيب عند أهل العلم سادس الكتب لما فيه من البلاغات والمراسيل والموقوفات والمقطوعات والمقاطع، فتأخرت رتبته عن الصحيحين والسنن، على خلاف بين أهل العلم في السادس، وقد جعله بعضهم هو السادس كما فعل ابن الأثير في جامع الأصول، ورزين العبدري في تجريد الأصول، وبعضهم جعل السادس الدارمي، ومنهم من جعل السادس ابن ماجه، وأول من أضافه إلى الخمسة الفضل بن طاهر في شروط الأئمة، وفي أطرافه، ثم جرى العمل على ذلك لكثرة زوائده من الأحاديث المرفوعة. ولا يستدرك على الإمام مالك إدخاله للمراسيل في كتابه؛ لأنه يرى حجية المرسل، وبلاغات مالك قد وصلها ابن عبد البر -رحمه الله- في التمهيد سوى أربعة أحاديث. طباعة الموطأ استغرقت خمساً وعشرين سنة - ربع قرن-، ومخطوطة موطأ الإمام مالك التي صورت مؤخراً في الكويت ونشرت مخطوطة جميلة، وخطها واضح وبيّن، ويوجد ما هو أنفس منها من مخطوطات الموطأ، لكن المقصود أنها صورة جميلة، والخط واضح جداً، يضاهي المطبوعات، فتصويرها نافع - إن شاء الله - .

البلاغات عند مالك بسبب :

أن الامام مالك لم يدرك عبد الله بن عمر ولا زيد بن ثابت فبلاغات الامام مالك في الموطأ منها المرفوعات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي التي وصلها كلها عمر بن عبد البر في التمهيد وعددها واحد وستون 61 وصله الاربعة وصلها عمرو بن الصلاح . والبلاغات الموقوفة على الصحابة أو على من دونهم لم يصلها ابن عبد البر.

وفي " الموطأ " عدة مراسيل أيضا عن الزهري ، ويحيى الأنصاري وهشام بن عروة . عمل الإمام الدارقطني أطراف جميع ذلك في جزء كبير ، فشفى وبين .

وموطأ الإمام مالك محبوب مطلوب مرغوب منسوب الى صاحبه دون أدنى شك ، وهو أول مصنف جمع وألف وآلف بين الحديث والفقه . ولم تكن الأحاديث مدونة في الكتب الجوامع حتى جاء الامام مالك فجمع متوخيا القوى من حديث أهل الحجاز ومزجه بأثار الصحابة والتابعين واجتهاداته .. وأبدع الامام في تربيته وترتيبه . وهو أجل كتبه اعتنى به العلماء أيما رعاية واعتنوا به أيما عناية . بشرح أحاديثه ووصل مراسيله والتصنيف في غريبه أو ألف في رجاله أو رتبته على مسانيدته حتى صار بحرا لا تكدره الأهواء .

وقد قصد في الموطأ جمع صحيح الحديث أي الصحيح عنده باصطلاحه لا باصطلاح أهل الحديث وهو يرى المراسيل والبلاغات صحيحة . وقد جاء هذا في كشف الظنون وورد في النكت الوفية .

وقد قال عياض في المدارك : لم يعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ فإن الموافق والمخالف اجتمع على تقديره وتفضيله وروايته وتقديم حديثه وتصحيحه .

منهج الإمام مالك في البحث : منهجية طلب العلم عند السلف : (الأدب قبل الطلب) قال مالك : (حق على كل طالب العلم ان يكون صاحب سمع ووقار واتباع أثر من مضي) . يقول تلميذ مالك ابن وهب إمام مصر : صحبت مالكا عشرين سنة أخذت العلم في سنة والأدب في تسع عشرة سنة وليتها كانت كلها في الأدب . وكان من منهجه قوله : العلم آية محكمة أو سنة مبينة ، أو لا أدري . ويقول بأصل مصالح العباد في المعاملة وأنها مقصد الشريعة فحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .

وكان للإمام مالك منهج في الاستنباط الفقهي لم يدونه كما دون بعض مناهجه في الرواية، ولكن مع ذلك صرح بكلام قد يستفاد منه بعض مناهجه، فقد ألمح إلى ذلك وهو يتحدث عن كتابه (الموطأ): "فيه حديث رسول الله وقول الصحابة والتابعين ورأيي ، وقد تكلمت برأيي ، وعلى الاجتهاد ، وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا، ولم أخرج من جملتهم إلى غيره." وقد جمع فيه بين الرواية والدراسة وفعل ذلك الامام البخاري وقد قال الشافعي : ما تحت أديم السماء كتابا أصح من الموطأ . والموطأ روي ومن رواياته رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي والتي هي أشهر الروايات التي زادت عن ثمانين رواية . وكان شديد الانتقاد للرجال فلا يحدث الا عن ثقة أهل للرواية . ولم يحدث إلا عن القديم . فكانت روايته عن الرجل توثيقا للرجل عند العلماء . وكان يصفى الكثرة من الروايات ولا يترك إلا القليل الثقة كما فعل بالموطأ الذي كان يحوي آلاف الأحاديث فنقاه حتى أصبح ألفا وقليلًا . كان ذا علم واتباع وعقل . وكان الناس يجلسون في حلقاته حتى شيوخه .

قال مالك رأيت أبا أيوب السخيتاني بالحجر عند الكعبة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فأخذت عنه الحديث .

كان يقول لا أدري فقد سئل عن أربعين أجاز عن ستة وقال في الباقي لا أدري . مبتعدا عن الشواذ لا ينتبها ولن تجد في أقواله شذوذا . وذكر عند سفيان الثوري أقوال غرائب فقال هذا من الشواذ الذي نهاني عنه الحجازي يقصد مالكا . الإمام مالك - رحمه الله - كان من منهجه ألا يقرأ على أحد، ولا يحدث أحداً، وينكر أشد النكير على من يطلب منه أن يقرأ عليه، بل الإمام مالك يسمع والطالب هو الذي يقرأ، فجميع من روى الكتاب عن الإمام مالك فبطريق العرض، وقد كان بعض من لا يرى العرض - من أهل العراق - يأتي إلى الإمام مالك ليسمع من الإمام، فيزجره الإمام - رحمه الله - ، ويقول: "العرض يكفيك في القرآن ولا يكفيك في الحديث؟!!"

. قال علي - أقول لعله بن المديني - من لم يرو عنه مالك إلا وهو متروك و كل من روى عنه مالك فهو ثقة

- 01 - أبو مصعب الزهري : هو أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ولد بالمدينة المنورة سنة 150 هـ . أخذ العلم عن جلة من شيوخ المدينة منهم إبراهيم بن سعد الزهري وحسين بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب وغيرهم كثير وروى عن الإمام مالك الموطأ وقد كان فقيها حجة ثقة باتفاق وتولى القضاء بالمدينة . توفي رحمه الله سنة 242 هـ .
- 02 - أبو عبد الرحمن القعني : هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب التميمي الحارثي ولد سنة 130 هـ وقيل بعدها نزيل البصرة ثم مكة . تتلمذ على خلق منهم الليث بن سعد وأفلح بن حميد وابن أبي ذئب وفضيل بن عياض وعبد العزيز بن محمد الداروردي وعيسى بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب وحماد بن سلمة وشعبة بن الحجاج وغيرهم . لزم الإمام مالكا عشرين سنة وقرأ عليه الموطأ . وقالوا في فضله : القعني ثم معن من أصحاب مالك بل منهم من فضله عن مالك نفسه والله أعلم وكان حجة ثبتا رباتيا رحمه الله . توفي مجاورا بمكة سنة 221 هـ .
- 03 - أبو محمد الحدثاني : هو سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار الهروي الحدثاني نسبة إلى الحديثة مدينة على الفرات . أخذ العلم عن جمهرة منهم سفيان بن عيينة . واختلفوا فيه بين جرح وتعديل والخاصة فيه أنه صدوق في نفسه ضعيف من جهة حفظه . والرواية من كتبه . كتبه صحاح . وأخرج له مسلم في صحيحه عن حفص بن ميسرة وكان ينتقي من حديثه .
- 04 - علي بن زياد : هو أبو الحسن علي بن زياد العبسي . ولد بطرابلس بالمغرب . أخذ العلم عن الليث بن سعد وابن لهيعة وسفيان الثوري وروى موطأ الإمام مالك . قال ابن الحارث كان علي ثقة مأمونا .
- 05 - عبد الرحمن بن القاسم : هو أبو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري ولد سنة 132 هـ وأصله من مدينة الرملة بفلسطين . أخذ العلم عن أناس منهم سفيان بن عيينة والليث بن سعد وعبد العزيز بن الماجشون . لزم مالك عشرين سنة وسمع منه وكتب عنه ، وتفقه عليه وكان عنده ثلاثمائة جلد مما كتب عنه . وهو من أثبت أصحاب مالك رواية وروايته للموطأ صحيحة قليلة الخطأ . وهو أول من حمل الموطأ إلى مصر . وكان ثقة ثبتا متفقا على إمامته توفي سنة 191 هـ .
- 06 - محمد بن الحسن الشيباني : هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي ، صاحب أبي حنيفة ، أصله من دمشق من قرية يقال لها حرسنا قدم أبوه إلى العراق وولد محمد بواسط ونشأ بالكوفة . أخذ العلم والفقه عن أبي حنيفة وإليه نسب . وتمم طلب الفقه على أبي يعقوب القاضي أبي يوسف والأوزاعي وسفيان الثوري وابن المبارك وغيرهم . لزم الإمام مالك ثلاث سنين وأخذ وسمع الموطأ عنه . توفي في الري سنة 189 هـ .
- 07 - يحيى بن عبد الله بن بكير : هو أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن بكير القرشي المخزومي المصري ولد سنة 155 هـ . أخذ العلم عن خلق منهم عبد الله بن لهيعة وابن الماجشون وعبد العزيز بن محمد الدراوردي والليث بن سعد . سمع الموطأ من مالك مرات بلغت سبع عشرة مرة . كان حجة احتج به الشيخان . توفي رحمه الله سنة 231 هـ .
- 08 - يحيى بن يحيى الليثي : هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شمال بن منغايا الليثي البربري المصمودي الأندلسي . القرطبي ولد سنة 125 هـ . أخذ العلم عن كثير منهم الليث بن سعد وسفيان بن عيينة . أخذ الموطأ أولا من زياد بن عبد الرحمان المعروف بن شبطون . ثم ارتحل إلى المدينة سنة 179 هـ وسمع الموطأ بلا واسطة إلا ثلاثة أبواب في كتاب الاعتكاف هي (باب خروج المعتكف إلى العيد وباب قضاء الاعتكاف وباب النكاح في الاعتكاف) رواها عن زياد شبطون عن مالك . رحل يحيى بن يحيى إلى الإمام مالك وهو صغير ، وسمع منه وتفقه ، وكان مالك يعجبه سمته وعقله ، وروى أنه كان يوما عند مالك في جملة أصحابه ، إذ قال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحاب مالك لينظروا إليه غيره- أي: وبقي يحيى مكانه - فقال له مالك : لم تخرج فترى الفيل، لأنه لا يكون بالأندلس، فقال له يحيى: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك واتعلم من هديك وعلمك، ولم أجيء لأنظر إلى الفيل، فأعجب

به مالك وسماه) عاقل أهل الأندلس . ثم لازم ابن وهب وابن القاسم ثم حج ورجع الى المدينة ليزداد علما من الامام مالك فوجده في مرض موته إلى أن وافى الأجل الإمام فحضر جنازته . ثم قفل عائدا إلى قرطبة واشتغل بالعلم إلى أن ذاع صيته . واستفاد الناس من علمه وسمته وذاعت روايته للموطأ شرقا وغربا وهي التي نعيها حين نقول شرح الموطأ . لأنها آخر الروايات وأكثرها تنقيحا .

• ورواية محمد بن الحسن الشيباني، انفردت ببعض الزيادات على رواية يحيى .

ومنها: رواية أبي مصعب الزهري ، وفيها أيضا زيادات، ومنها..، روايات كثيرة ذكر منها صاحب الحطة ست عشرة رواية، وأثبت بعض الزيادات التي في بعضها على بعض، وعني أهل العلم بالموطأ وشرحوه، حتى ذكر من شروحه أكثر من مائة شرح مما هو موجود الآن في خزائن الكتب، وطبع كثير منها، لكن طالب العلم وهو في غمار هذه الأعداد الهائلة من المؤلفات من كتب السنة وشروحها، لا يمكنه الإحاطة بجميع ما كتب حول هذا الكتاب أو غيره، لكن إذا اقتصر طالب العلم على شرحي ابن عبد البر (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) وهذا كتاب عظيم، ومؤلفه إمام من أئمة المسلمين، حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة، مكث في تأليفه ثلاثين عاما وهو يحرره وينقحه ، حتى خرج الكتاب محررا منقحا مضبوطا متقنا حتى قال ابن حزم وغيره: "إنه لا يعرف في الكلام على فقه الحديث كتابا مثله، ولا ما يقاربه ولا يدانيه".

من شروح الموطأ :

لأهمية الموطأ وإمامة مؤلفه، وعلو أسانيده اعتنى به العلماء عنايةً فائقة، وشرحوه شروحا كثيرة، حتى ذكر شراخه أكثر من مائة شرح مما هو موجود الآن في خزائن الكتب، وطبع كثير منها، لكن طالب العلم وهو في غمار هذه الأعداد الهائلة من المؤلفات من كتب السنة وشروحها، لا يمكنه الإحاطة بجميع ما كتب حول هذا الكتاب أو غيره، ومن أهم شروحه شرحي ابن عبد البر (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) وهذا كتاب عظيم، ومؤلفه إمام من أئمة المسلمين، والثاني (الاستذكار) وهو من الشروح التي لا يستغني عنها طالب علم. ومن شروحه: (المنتقى) للباقي، وهو مختصر من كتاب له كبير اسمه: (الاستيفاء) و(المنتقى) للباقي كتاب نفيس ونافع، وهو مطبوع في سبعة مجلدات كبار. ومن شروحه: (القبس شرح موطأ الإمام مالك بن أنس) للقاضي أبي بكر بن العربي، وله شروح أخرى على الموطأ. ومن الشروح: شرح للزرقاني، شرح متوسط مفيد نافع. وهناك شرح مختصر جداً للسيوطي اسمه: (تنوير الحوالك). وهناك شرح مطول اسمه: (أوجز المسالك) للكندهلوي في خمسة عشر جزءاً طبع في خمسة عشر مجلداً، وهو كتاب طيب نافع، يمتاز بعنايته بنقول المذاهب من كتب أصحابها. هناك شرح للدهلوي شرح مختصر جداً، وهو ماتع ونفيس، لكنه أخل بترتيب الكتاب، رتبته على الطريقة المعتادة عند أهل العلم في تقديم الطهارة على ما قدمه الإمام مالك من الوقوت ، لكنه كتاب طيب وفيه نفع، الأصل أن الكتاب في مذهب مالك، وأضاف الشارح الدهلوي مذهب أبي حنيفة، ومذهب الشافعي، وأهمل مذهب الإمام أحمد، إلى غير ذلك من الشروح الكثيرة لهذا الكتاب النفيس . وهي أكثر من مائة شرح لا يمكن الإحاطة بها، ولا بيان مناهجها تبعا لأهمية هذا الكتاب . الموطأ . ، فهو سادس الكتب عند جمع من أهل العلم، وإن كان متقدما عليها في الزمان، وفي إمامة مؤلفه ومكانته، لكنه في الترتيب عند أهل العلم ثالث الكتب لما فيه من البلاغات والمراسيل والموقوفات والمقطوعات والمقاطع ، فتأخرت رتبته عن الصحيحين والسنن، على خلاف بين أهل العلم في السادس، وقد جعله بعضهم هو السادس كما فعل ابن الأثير في جامع الأصول، ورزين العبدري في تجريد الأصول، وبعضهم جعل السادس الدارمي، ومنهم من جعل السادس ابن ماجه، وأول من أضافه إلى الخمسة ابن طاهر، الفضل بن طاهر في شروط الأئمة، وفي أطرافه ، ثم جرى العمل على ذلك لكثرة زوائده من الأحاديث المرفوعة .

ذكرنا أن الرواية التي تشرح من بين الروايات الكثيرة هي رواية يحيى بن يحيى، وعليها أكثر الشراح، وقد سمعه أو قرأه على الإمام مالك؛ لأن الإمام مالك رحمه الله تعالى كان من منهجه ألا يقرأ علي أحد، ولا يحدث أحدا، بل ينكر على من طلب منه أن يقرأ عليه، بل يسمع الإمام مالك ممن يقرأ، فجميع من روى الكتاب عن الإمام مالك فبطريق

العرض، بعضهم يأتي ممن لا يرى العرض من أهل العراق إلى الإمام مالك ليسمع من الإمام مالك فيزجره الإمام مالك رحمه الله تعالى ، ويقول: "العرض يكفيك في القرآن ولا يكفيك في الحديث؟!!" ومعلوم أن القرآن يقرأ على المقرئ، وعلى كل حال العرض طريق معتبر من طرق السماع عند أهل العلم، وحصل الإجماع على صحة ما نقل بواسطته، وإن كان الأصل في الرواية السماع.

وقد وجدت ترجمة للموطأ باللغة الفرنسية وأخرى باللغة الانكليزية .

قالوا عن الإمام مالك

قال البخاري: "أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر". وقال سفيان بن عيينة: "ما كان أشد انتقاده للرجال". وقال يحيى بن معين: "كل من روى عنه مالك فهو ثقة إلا أبا أمية". وقال غير واحد: "هو أثبت أصحاب نافع والزهري."

وقال الشافعي: "إذا جاء الحديث فمالك النجم". وقال: "إذا جاءك الأثر عن مالك فشد به يدك". وقال أيضاً: "من أراد الحديث فهو عيال على مالك". وقال الشافعي: رضيت بمالك حجة بيني وبين الله يوم القيامة .

قال الذهبي: كان من الكبراء السعداء والسادة العلماء ذا حشمة وتجل وعبيد ودار فاخرة ونعمة ظاهرة ورفعة في الدنيا والآخرة وكان يقبل الهدايا ويأكل طيباً ويعمل صالحاً

كان ثبتاً متثبتاً يقول عنه ابن أبي حاتم: كان مالك رحمه الله أول من انتقى الفقهاء من الرجال بالمدينة وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ولم يكن يروي إلا ما صح ولا يحدث إلا عن ثقة . مع الفقه والفضل والدين والنسك.

واعلم أن أصح الاسانيد هي السلسلة الذهبية عن مالك عن نافع عن ابن عمر.

عن عبد الله بن المبارك ما كان يظهر لنا منه كثير عبادة إلا أنه له عند الله سريرة

وسأل عبد الله بن أحمد بن حنبل أباه من أثبت أصحاب الزهري قال مالك أثبت في كل شيء

قال عبد الرحمن بن مهدي أئمة الناس في زمانهم أربعة الثوري ومالك والأوزاعي وحماد بن زيد وما رأيت أعقل من مالك

من كلمات الإمام مالك الخالدة :

"كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر"، أي النبي صلى الله عليه وسلم

-إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون منه

-لا خير فيمن يرى نفسه في حال لا يراه الناس لها أهلا

-العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع

-ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة

-خير الأمور ما كان منها ضاحياً بيناً ، وإن كنت في أمرين أنت منهما في شك فخذ بالذي أوثق

-من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار ، وكيف يكون خلاصه في الآخرة

-مثل المنافقين في المسجد كمثل العصافير في القفص إذا فتح باب القفص طارت العصافير

-بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

-إذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه

-ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما هو نور يضعه الله في القلب

-طلب العلم حسن جميل ، ولكن إنظر ما يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه

-حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشيه

-لا ينبغي للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه ، فإنه ذل وإهانته للعلم

-ينبغي للقاضي ألا يترك مجالسة العلماء وكلما نزلت به نازلة ردها اليهم وشاورهم

-إذا عرض لك أمر فاتند ، وعاير على نظرك بنظر غيرك فإن العيار يذهب عيب الرأي ، كما تذهب النار عيب الذهب

-ما زال الناس هكذا : لهم عدو وصدیق ، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنه كلها

-ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه ، وخصوصاً أهل العلم ينبغي لهم أن يظهروا مروءاتهم في ثيابهم إجلالاً للعلم

-من علم أن قوله من عمله قل كلامه

-الزهد في الدنيا طلب التكسب وقصر الأمل

-إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير ما لم يكن للناس فيه خير

-لا يصلح المرء حتى يترك ما لا يعنيه ويشغل بما يعنيه فإذا كان كذلك أوشك أن يفتح الله تعالى قلبه له وكان يبث ذلك في طلابه، فقد روى ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول: حق على من طلب العلم أن يكون له وقار، وسكينة، وخشية، والعلم حسن لمن رزق خيره ، وهو قسم من الله – تعالى – فلا تمكن الناس من نفسك ، فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ ، وذلل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيقه .

ومن مظاهر ذلك أنه ينتقي من الشيوخ من يحترم العلم ، فقد نقل عن ابن القاسم ، قال : قيل لمالك : لم لم تأخذ عن عمرو بن دينار؟ قال: أتيتته فوجدته يأخذون عنه قياماً ، فأجللت حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن آخذه قائماً .

وكان يحث طلابه على الانتقاء من الشيوخ ، فعن مالك ، قال : لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه ، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث ، وصالح عابد فاضل ، إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

عن : أبو عبد البر محمد كاوا " من أقوال الإمام مالك في التمسك بالكتاب و السنة :

1-قال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول:" الزم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:
"أمران تركتهما لن تضلوا ما تمسكن بهما كتاب الله وسنة نبيه".(اعلام الموقعين1/256)

2-قال ابن وهب كنا عند مالك فذكرت السنة فقال مالك:" السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق".
(تاريخ دمشق لابن عساكر9/14)و(تاريخ بغداد7/336) و(ذم الكلام و اهله للهرابي 124/4-رقم885)

3- قال إسحاق بن إبراهيم الحنيني: قال مالك: "قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الأمر واستكمل ، فأنا ينبغي أن نتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولا نتبع الرأي وإنه من اتبع الرأي جاء رجل أقوى منك في الرأي فاتبعته ، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته ، أرى هذا الأمر لا يتم". (المعرفة والتاريخ 789/2) ومن طريقه (تاريخ بغداد 415/13-416) و(الاعتصام للشاطبي 105/1)

4- قال: مصعب بن عبد الله الزبيري : سمعت مالك بن أنس يقول: "أدرت أهل هذا البلد وما عندهم علم غير الكتاب والسنة فإذا نزلت نازلة جمع لها الأمير من حضر من العلماء فما اتفقوا عليه من شيء أنفذه وأنتم تكثرون من المسائل وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها". (الاستذكار 581/8)

5- قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: "حق على من طلب العلم أن يكون عليه وقار وسكينة ويكون متبعا لآثار من مضى". (الحلية 320/6) و(الإلماع للقاضي عياض 52/1) و(الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي 156/1).

6- قال مُطَرِّفَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: "سَنَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَوَلَاةُ الْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا اتِّبَاعٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظْرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنْ اهْتَدَى بِهَا، فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا، فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ تَرَكَهَا، اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاةُ اللَّهِ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا." (سير أعلام النبلاء 99/8)

7- وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: سئل مالك بن أنس عن السنة فقال: "هي مالا اسم له غير السنة وتلا (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)". (الاعتصام للشاطبي 58/1).

8- قال بشر بن عمر الزهراني: سمعت مالك بن أنس يقول: "من اراد النجاة فعليه بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم. (ذم الكلام و اهله للهروي 118/4-رقم 877)

9- قال معن بن عيسى: سمعت مالك ابن أنس يقول: "إنما أنا بشر أخطئ واصيب فانظروا في رأي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وكلما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه". (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر 775/1- رقم 1435) ومن طريقه ابن حزم (الاحكام في أصول الاحكام 6/790) و(اعلام الموقعين 1/75) و(تهذيب التهذيب 8/10)

10- قال ابن وهب : سمعت مالكا يسأل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء فقال: " ليس ذلك على الناس"، قال فتركته حتى خف الناس فقلت له: يا أبا عبد الله سمعتك تفتي في مسألة تخليل أصابع الرجلين زعمت أن ليس ذلك على الناس وعندنا في ذلك سنة فقال: " وما هي؟" فقلت: ثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن المستورد بن شداد القرشي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه فقال: " إن هذا حديث حسن وما سمعت به قط إلا الساعة" ثم سمعته يسأل بعد ذلك، فأمر بتخليل الأصابع. (سنن البيهقي الكبرى 1/76-رقم 366) و(التمهيد 24/259) و(الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 31-32/1)

11- قال يعقوب بن حميد بن كاسب : قال مالك بن أنس: " لو لقي الله رجل بملء الأرض ذنوبا ثم لقي الله بالسنة لكان في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا". (ذم الكلام و اهله للهروي 121/4- رقم 881)

12- قال يحيى بن سليمان بن نضلة: سمعت مالك بن أنس يقول: " من مات على السنة فليبشر". (ذم الكلام و اهله للهروي 121/4-رقم 880)

13- قال ابن وهب: قال لي مالك: "الْحُكْمُ الَّذِي يُحْكَمُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى وَجْهَيْنِ: فَالَّذِي يَحْكُمُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الْمَاضِيَةِ، فَذَلِكَ الْحُكْمُ الْوَاجِبُ وَالصَّوَابُ، الْحُكْمُ الَّذِي يَجْتَهِدُ فِيهِ الْعَالِمُ نَفْسَهُ فِيمَا لَمْ يَأْت فِيهِ شَيْءٌ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يُؤَفَّقَ، قَالَ: وَثَالِثٌ مُتَكَلِّفٌ لِمَا لَا يَعْلَمُ فَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ أَنْ لَا يُؤَفَّقَ". (تفسير ابن أبي حاتم 4/1059)

14- قال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مِنْ أَيْنَ أُحْرِمُ؟ قَالَ: مَنْ ذِي الْخُلَيْفَةِ مِنْ حَيْثُ أُحْرِمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحْرِمَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنَ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ. قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحْرِمَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنَ عِنْدِ الْقَبْرِ. قَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخَشَى عَلَيْكَ الْفِتْنَةَ. قَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ فِي هَذَا؟ إِنَّمَا هِيَ أَمْيَالٌ أَزِيدُهَا. قَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَرَى أَنَّكَ سَبَقْتَ إِلَى فَضِيلَةٍ قَصَرَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. (احكام القرآن لابن العربي 432/3)

15- قال بشر بن عمر: سمعت مالك بن أنس كثيرا إذا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بحديث فيقال له: وما تقول أنت؟ أو رأيك؟ فيقول مالك: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. (التمهيد/8/411)

16- قال عثمان بن صالح: جاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة فقال له: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا"، فقال الرجل: أرأيت، فقال مالك: " (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)". (الحلية 326/6) و (الاحكام في أصول الاحكام 790/6)

17- قال ابن القاسم: قال مالك: " لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها". (البيان و التحصيل/1/242) و (الاعتصام للشاطبي/1/274) " عن : أبو عبد البر محمد كاوا

وفاة إمام عظيم :

مرض الإمام مالك اثنين وعشرين يوماً، ثم جاءتته منيته، وأكثر الرواة على أنه مات سنة 179هـ، وقد قال فيه القاضي عياض: «إنه الصحيح الذي عليه الجمهور»، واختلفوا في أي وقت منها، والأكثر أن مات في الليلة الرابعة عشرة من ربيع الثاني منها. وفي رواية عن بكر بن سليم الصراف قال: دخلنا على مالك في العشية التي قبض فيها، فقلنا: «يا أبا عبد الله كيف تجدك؟»، قال: «ما أدري ما أقول لكم، ألا إنكم ستعاينون غداً من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب»، قال: «ما برحنا حتى أغمضناه، وتوفي رحمه الله يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة». وصلى عليه عبد الله بن محمد بن إبراهيم أمير المدينة، وحضر جنازته ماشياً، وكان أحد من حمل نعشه. وكانت وصية الإمام مالك أن يُكفَّن في ثياب بيض، ويُصلى عليه بموضع الجنائز، فنُقِّدَت وصيته، ودُفِنَ بالبقيع.

وتُوفِّي الإمام مالك رحمه الله بالمدينة سنة 179هـ/795م، لعشر خلون من ربيع الأول سنة مائة وتسعة وسبعين للهجرة، عن خمسٍ وثمانين سنة، ودُفِنَ بالبقيع في المدينة المنورة بجوار إبراهيم ولد النبي وقد رثا الإمام مالك كثيرٌ من الناس منهم جعفر بن أحمد السراج بقوله:

سقى جدًّا ضمَّ البقيعَ لمالك من المزن مرعاد السحائب مبراقُ

إمام موطاه الذي طبقت به أقاليم في الدنيا فساح وآفاق

أقام به شرع النبي محمد له حذر من أن يضام وإشفاقُ

له سند عال صحيح وهيبة فللكل منه حين يرويه إطراقُ

وأصحاب صدق كلهم علم فسل بهم إنهم إن أنت ساءلت حذاق

ولو لم يكن إلا ابن إدريس وحده كفاه إلا إن السعادة أرزاق

فرحم الله الإمام مالك بن أنس رحمة واسعة وجزاه خير الجزاء على ما قدم من علم وفقه وحديث ونفعنا بعلمه.

1. نبيل أحمد بلهي الجزائري بحث: ماورد عن المستشرقين والتعقبات على ما أورده المستشرق (شاخت) في ترجمة الإمام مالك من دائرة المعارف الإسلامية الاستشرافية
2. الشيخ/ عبد الكريم بن عبد الله الخضير الخضير تفرغ اشرة شرح الموطأ
3. احمد احمد سلطان خطبة موثقة بعنوان علو الهمة
4. توثيق من مواقع نتية ترجمة للإمام مالك
5. الكلمي سعيد شريط يوتيوب ترجمة للإمام مالك
6. أبو إسحاق الحويني شريط يوتيوب ترجمة للإمام مالك
7. السويدان طارق يوتيوب ترجمة للإمام مالك
8. د.محمد راتب النابلسي يوتيوب الإمام مالك بن أنس
9. عبد الرحمن بن عبد الله السحيم عضو مكتب الدعوة والإرشاد منتدى الإرشاد للفتيا الشرعية
10. الشيخ النميري حصة سؤال وجواب على اليوتيوب
11. موقع somali future
12. فتاوى الشبكة الإسلامية المؤلف: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية تم نسخه من الإنترنت: في 1 ذو الحجة 1430، هـ = 18 نوفمبر، 2009 م
13. موقع مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي مقال المدونة في الفقه المالكي
14. الطالب عبد الرقيب صالح محسن الشامي آراء الإمام مالك الأصولية من خلال كتاب المدونة الكبرى كتاب النكاح جمعا ودراسة رسالة علمية لنيل درجة الماجستير جامعة أم درمان الإسلامية السودان 2003/ 1430
15. <https://ar.wikipedia.org> ويكيبيديا أورد .
16. من المنتدى الفرسان السلفى للذب عن السنة فرسان الحوار مع النصاري 01-27-2010، 04:51 PM يسين عيسو
17. محمد الخميس اعتقاد الأئمة الأربعة
18. شريف عبدالعزيز الزهيري محنة الإمام مالك بن أنس شبكة الالوكة
19. د.عبدالعزيز بن سعد الدغثير معالم من سيرة الإمام مالك بن أنس شبكة الالوكة
20. محمد كاوا أبو عبد البر الإمام مالك وموقفه من الرفض

21. د محمد أحمد لوح تهذيب لبحث الأستاذ خالد أحمد الشامي موقف محمد الطاهر ابن عاشور المالكي من الرفضة من خلال تفسيره التحرير والتنوير مختصر .

22. عبد الغني الدقر الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة دار القلم دمشق ط 3 1998

23. دعاء نجار الفرق بين المذاهب الأربعة في الإسلام

24. غدير شمس مالك بن أنس

25. السويدان طارق الامام مالك

26. د/ خميس بن عاشور. موقع نتي . كلية العلوم الإسلامية و العلوم الاجتماعية . جامعة باتنة الجزائر

27. الإمام أبي زكرياء يحيى بن ابراهيم السلماسي . ت 550هـ . منازل الأئمة الأربعة تحقيق د. محمود بن عبد الرحمان قدح . ط 1 . 2002 ، 1422 .

وفي الختام أسأل الله تعالى الاخلاص والثواب واستجابة الدعاء متوسلا بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا العمل بأن يجيب دعواتي كلها وان يرزقني العيش في مدينة المصطفى والوفاء فيها أمين .

وألاحظ أنه اشتهر من الكتب المرجعية بعد الموطأ المدونة وهي قليلة الذبوع ورسالة ابي زيد القيرواني بشروحها والتي أخذتها عن الامام مصطفى تنوم المجبري النانلي بمسجد حي عين الشيح بالجلفة العامرة سنة 1980 ومابعدھا . وقيل أن أبا زيد ألفها للأمين في زمانه . ومتن ابن عاشر وقد شرحتہ بمسجد الامام مالك بن انس بالجلفة 2012 - 2014 وقيل أن ابن عاشر كتبه للأطفال في زمانه . وكتاب مختصر خليل والذي يقسم به العوام أيمانهم .

والله تعالى أعلم وأحكم نسأل الله العظيم العلم والحلم والفهم والاخلاص والصواب وحسن الختام .

الفهرس

مقدمة

- من هو الإمام مالك مسألة حمل أم الإمام به ص 05
- نسبه طفولة الإمام مالك وتربيته ص 13
- ملاح شخصية الإمام مالك وأخلاقه وصفات الإمام مالك الخلقية والرد على شبه المستشرقين ص 13
- قصة شبهة زواج والد الإمام مالك من امرأة قبيحة - أم الامام مالك - والرد عليها ص 25
- هييته بعض سملته ومميزاته رحمه الله ص 27 ، 28
- علمه ومصدر رزقه سعة علم الإمام مالك ص 31
- مناقبه ص 33
- محنته ص 36
- عقيدة الإمام مالك وموقفه من الرافض والتصوف ... ص 38
- نهيه رحمه الله تعالى ورضي عنه عن الكلام والخصومات في الدين ص 47
- كثرة عبادة الإمام مالك - شيوخ الامام مالك ص 48
- تلامذته ص 51
- الأسدي والمدونة ص 52
- مؤلفاته البلاغات عند الامام ص 56 ، 57 ، 58
- أصحاب روايات الموطأ ص 59
- قالوا عن الامام مالك من كلمات الامام الخالدة ص 61
- وفاة إمام عظيم ص 65
- المراجع ص 66
- الفهرس ص 68
- ترجمة صاحب البحث ص 69

وكتبه الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوه ورضاه . الشيخ الاستاذ المفتش العام في التربية والتعليم سابقا . المكون والمربي الأديب البيداغوجي والقانوني والباحث في البيداغوجيا واللغة والتاريخ والمحاضر بالإذاعة المحلية والمراكز الثقافية والمدرس بالمساجد منها مسجد الامام مالك بن أنس ومسجد الرحمن ومسجد النور ومدرسة الاخلاص ودور الثقافة والمركز الثقافي الاسلامي . والذي له مؤلفات عدة مطبوعة ومخطوطة . والواعظ الداعية إلى الله تعالى الزاهد السني الأثري الوسطي النائلي العربي الجلفاوي الجزائري .

ونسبه : بونوة أحمد (الجديوي النائلي نسبا الجلفاوي سكننا الجزائري موطننا الأثري مسلكا) بن محمد بن أحمد بن محمد بن النوي - والنوي هذا جردته فرنسا من أملاكه وأمواله بالمجبرة (قرية جنوب شرق مدينة الجلفة) حين دخولها إلى الجلفة حوالي 1853 ونفته إلى منطقة زينة الإدريسية (غرب شمال مدينة الجلفة) حاليا - بن علي بن بولنوار بن العيساوي بن التومي بن علي الأول بن جدي الأول بن علي الثاني بن جدي الثاني - وقيل بن علي - بن سعد (القرن 11 هـ) بن سالم بن مليك بن محمد نائل بن عيسى بن عبد الله بن علال بن موسى بن عبد السلام بن أحمد بن علال بن أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن أبوبكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزورة بن حيدرة بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما . وأمه وأبوه ابنا عم أشقاء - والله أعلم وأحكم .

مولود الجمعة وقيل الاثني عشر فجرا 24/مارس/ 1961 بالجلفة 300 كم جنوب الجزائر العاصمة .
لقي أبوه محمد الله مجاهدا شهيدا بإذن الله تعالى - وكان من رفقاء والده في الجهاد خيرة المناضلة وهي الريكي الحاجة خيرة رحمها الله تعالى ، وكذا الشهيد بإذن الله الطوير البلولي النائلي رحمه الله تعالى - فرنسا وأدناها وكفلته أمه وأخاه الوحيد في بيت خالهما . وتربى في حجر الشيخ أبي بكر عياشي الجديوي ينهل منه القرآن الكريم أزيد من عشر سنين حتى نال إجازة مكتوبة منه ، وقد زاحم علماء منطقته ونال من علمهم . ومنهم على الخصوص الشيخ تنوم مصطفى رحمه الله في مسجد حي عين الشيخ والشيخ عبد القادر بن بوزيد بمسجد ابن معطار بوسط المدينة والشيخ عامر محفوظي بن المبروك بمسجد خالد بن الوليد جامع الجمعة سابقا . رحمهم الله تعالى وغيرهم . والشيخ الجابري في جلسات متفرقة وفي بيته وفي مدرسة الاخلاص . ودرس في المدارس حتى تحصل على شهادة الليسانس في القانون والعلوم الإدارية وشهادة الماستر في القانون الخاص . وشهادة الكفاءة العليا لإطارات التربية والتعليم وهو الآن متقاعد من عمله . وله إسهامات كثيرة ، يلقي المحاضرات في المساجد والمراكز الثقافية والإذاعة ويكون المؤطرين في التعليم . وله مؤلفات مخطوطة متنوعة . تنتظر الطبع . وأغلب مؤلفاته نشرت بشبكة الألوكة مجانا .

وممن أثر فيه من المعلمين الأساتذة : عثمانى عبد المجيد جزائري من بسكرة . بن بلخير عبد الحميد جزائري من الجلفة . عبد الحميد العيسوي من مصر . اسماعيل أبوزيد من سورية . بقي عشر سنين يقرأ القرآن على الشيخ أبي بكر عياشي الجديوي النائلي رحمه الله .

من أقوال الناس فيه : قال عنه الشيخ المصطفى تنوم لمن جاء يستفتيه ذهبوا إلى الشيخ احمد فهو يفتيكم كيف تأتون إلي وتتخطون الشيخ أحمد . وقال عنه الشيخ سي احمد الصغير عالم اولاد سي احمد : احمد بونوة عالم يفتي وهو متخلق غير متكبر . وقال عنه ادهم : خطيب مفوه يضحك الناس ويبكيهم في لحظة واحدة ولو شاء اعلن الحرب العالمية لفعل وقدر . وقال عنه بعض الصالحين دعوه فقد عجزت النساء أن تلد مثل الشيخ أحمد . كما سموه في مدينته الجلفة ساد الذرائع وفارس المنابر والوسطي والموسوعي والصابر الذي لم يبدل ولم يغير . وقالوا الزاهد الذي عرضت عليه الدنيا بأن يترشح للانتخابات وكان فقيرا في أمس الحاجة إليها ولم يقبل بالترشح ولا بالدخول في السياسة أبدا . وقالوا عنه : الشيخ اللغوي الأديب . وقالوا : الشيخ الأستاذ القامة المثقف المتخلق . وكان يفرح به شيخه أبوبكر عياشي رحمه الله ، ويناديه : (قريقة) يعني السمين المحبوب وذلك أن أم جده من أبيه أحمد كانت تفرح بابنها وتقول : (يابلي بقريقتي) أي يا فرحي ، والبل الشفاء والعافية عند العرب . وسماه أبوه رحمه الله على اسم جده وتلقب بلقبه ونسي هذا ولا يعرفه أحد بهذا . وكان أول من قرأ القرآن بصوت مرتفع مجودا في جامع الجمعة قبل درس الجمعة على طريقة المشاركة . وكذا في مسجد حي المستشفى ونال جوائز ومدحا وذكرًا بالجلفة في سنة 1970 وله من العمر ثماني سنين ... ثم في سنوات الثمانينات بحي عين الشيخ . وأول من دعا إلى السلفية وهاجم الشيعة وقرأ فتاوى ابن تيمية كلها المصرية والكبرى ولخص العقيدة الطحاوية واقتضاء الصراط

المستقيم ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وغيرها . وقال عنه الأستاذ السوري الاستاذ عادل ظاظة أستاذ بثانوية النعيم النعيمي بالجلفة سنة 1980 بعد أن سمع شعره : (والله لكأني أسمع المتنبي وابن زيدون) وقال الشيخ محمد القاسمي الحسني الاستاذ مدير ثانوية بولاية بشار و كان يدرسه مادة الأدب العربي بثانوية النعيم النعيمي بالجلفة سنة 1979 وقد قرأ بعض أشعاره : (أنت شاعر يا أحمد وأديب واحذر فكلامك جد صريح) . وقال عنه الباحث هرماس محمد : باحث محاضر صاحب قلم رعاف ولسان مفوه . وقال عنه الشيخ الجابري : احمد وما ادراك باحث وداعية وخطيب أديب وشاعر وذو خلق . وقال عنه محبوه الصوفي الزاهد السني صاحب الخلق . له ستة أبناء . وأخ وحيد عيسى أديب مترجم حافظ لكتاب الله محامي قانوني يحمل شهادات ليسانس والماستر في القانون والادب العربي والفرنسي

أحمد بن محمد بونوة بالجلفة سرّة الجزائر وعمقها في : 23 / 06 / 1438 - 21 / 03 / 2017 .

والحمد لله رب العالمين